تفسیر آیة النور

مؤلّف:
شیخ هادی تهرانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

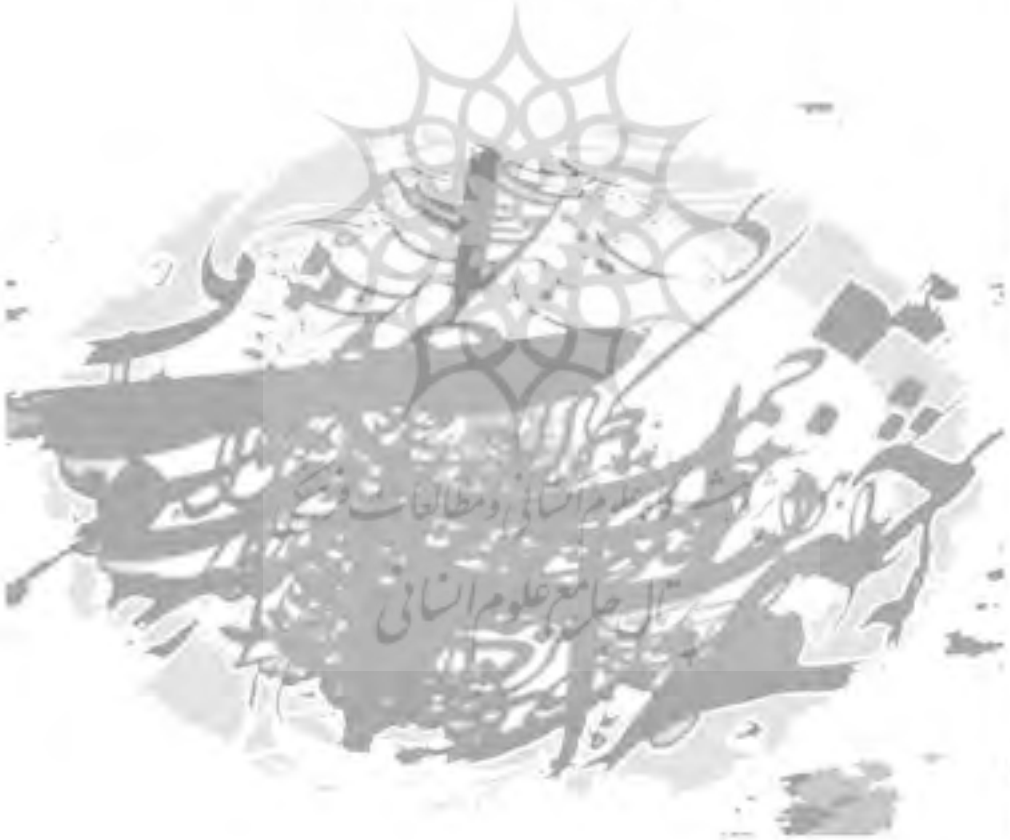

تحقیق:
علی مظهری

بسم الله الرحمن الرحیم

[مقدمه تصحیح]

مؤلّف

الشیخ هادی ابن الحاج ملامحمد امین الواعظ الطهرانی النجفی المعروف بالشیخ هادی الطهرانی تولد ایشان در ۲۰ رمضان سال ۱۲۵۳ هجری قمری است.

در اصفهان اساتید ایشان در فقه سید حسن مدرس و سید محمد شاهشهانی است. و در علوم عقلی از شاگردان ملا علی نوری است. پس از اصفهان به عراق مهاجرت کرد و در آن محضر بزرگانی چون: عبدالحسین طهرانی در شهر مقدس کربلا و نیز از شیخ مرتضی انصاری و شاگرد نامدار او میرزای شیرازی در نجف کسب علم کرد.

پس از آن در کرسی تدریس نشست روش تدریس او به گونه‌ای بود که شهرت او در تدریس و بیان مطلب و تحقیقات عمیق او، در شهرها و دور است انتشار یافت اما پس از آن که از جهت علمی با برخی هم نوا نبود زمزمه تکفیر او نیز بلند شد و مردم و علماء در عراق در محافل این دو گروه شدند عده‌ای به یاری او برخاسته گروهی نیز در زمزمهٔ مخافات او قرار گرفتند و این تعارض به قدری اوج گرفت و موافقان او به حدی تقلیل یافتند که حامیان او اعم از طلاب و علماء جرأت ورود به محضر درس او را نداشتند جز، عده قلیلی که تعدادشان از ۱۵ نفر تجاوز نمی‌کرد.

از شاگردان او می‌توان به:

۱. شیخ فیاض الدین سرخهٔ زنجانی.

۲. آقا میرزا صادق آقا تبریزی.

۳. مرحوم آقا حاجی میرزا احمد آقا.

۴. آقای حاجی میرزا عبدالعلی آقا.

۵ . آقا میرزا یوسف آقا مجتهد پسر میرزا علی آقا پسر مولانا محمد علی قراجه داغی .
۶ . مرحوم آقا شیخ مجید خویی .
۷ . مرحوم آقا شیخ مصطفی خویی مرتضوی مشهور به آقا شیخ آقا محلّه .
۸ . مرحوم آقا سید محسن کوه‌کمری گرگری است .
۹ . آقا شیخ علی اصغر ختّائی .
۱۰ . مرحوم آقا میرزا جعفر آقا تبریزی .[۱]

البته اینها بخشی از شاگردان ایشان هستند . برای اطلاع بیشتر به کتاب *تراث الشیعة القرآنی* مراجعه نمائید .[۲]

اساتید :

۱ . شیخ مرتضی انصاری .
۲ . میرزا محمد حسن شیرازی .
۳ . شیخ عبدالحسین طهرانی معروف به شیخ العراقین .
۴ . سید حسن مدرس .
۵ . سید محمد شهشهانی .
۶ . ملا علی نوری .
۷ . سید محمد باقر خوانساری .
۸ . سید محمد هاشم خوانساری .
۹ . ملا محمد ایروانی .
۱۰ . شیخ علی بن حسین آل‌عبدالرسول عبسی حکیمی .[۳]

از ایشان تالیفات بسیاری برجای مانده که عبارتند از :

۱ . الحق و الیقین فی الکلام ، ۲ . کتاب التوحید بالفارسیّة فی المراد علی وحدة الوجود ، ۳ . رسالة علم الرجال ، ۴ . رسالة ابطال التنجیم ، ۵ . رسالة فی الفرق بین الوجود و الماهیة ، ۶ . رسالة فی الاجتهاد و التقلید ، ۷ . و دائع النبوة فی الطهاره(جزأن) ، ۸ . رسالة

۱ . اشعه نور در تفسیر آیه نور ، ص۲۸ ـ ۲۵ .
۲ . تراث الشیعة القرآنی ، ج۴ ، ص۵۴۷ـ ۵۴۱ .
۳ . نفس المصدر ، ص۵۴۱ـ ۵۳۹ .

فی الفرق بین الصلح و البیع، ۹ . کتاب البیع شرح علی الشرایع (مطبوع)، ۱۰ . ذخائر النبوة فی الخیارات، ۱۱ . مناسک الحج، ۱۲ . رسالة فی الرضاع، ۱۳ . رسالة فی علم الصوت، ۱۴ . محجة العلماء فی الادلة القعلیة (مطبوع)۱۵ . الاتقان فی مباحث الالفاظ، ۱۶ . ارجوزة فی النحو ۵۰۰ بیت، ۱۷ . ارجوزة فی الصلح، ۱۸ . رسالة فی الرضاع، ۱۹ . الرضوان فی الصلح، ۲۰ . کتاب الصوم و الصلاة و الزکاة و الارث و الوصیة، ۲۱ . رسالة فی الفرق بین الحق و الحکم، ۲۲ . رسالة فی الامامة، ۲۳ . رسالة فی الرد علی من زعم ان الله لا یتعلق بالمعدومات، ۲۴ . رسالة تفسیر آیة نور (رساله حاضر) البته آثار ایشان را به حدود ۵۸ مورد نیز یادآور شده‌اند.[1]

در سال ۱۳۲۱ هجری ۱۰ شوال شب چهارشنبه یک ساعت به اذان صبح مانده[2] در نجف مرحوم شدند و در حجره مرحوم صاحب مفتاح الکرامه دفن شدند.[3]

رساله حاضر:

ایشان آیه نور را فقره فقره کرده و در هر بخش درباره مسایلی که در تفسیر آیه باید گفته شود ایراد سخن فرموده اند. برای مثال: در ﴿**الله نور السموات و الارض**﴾، به بیان اجمالی ماهیت نور پرداختند از اضافه ﴿**نور**﴾ به ﴿**سموات و ارض**﴾ که چه نوع اضافه است. و از حال مضاف و مضاف الیه هم نکاتی بیان فرموده اند و سه نتیجه در این قسمت گرفته است: ۱. مراد از «نور» هادی است و ۲. مراد از ﴿**سماء ارض**﴾ اهل آسمان و زمین هستند. ۳. از جمع آوردن آسمان و مفرد آوردن ارض، خداوند اراده کرده است که در زمین خداوند خلیفه دارد.

در بخش بعد به بیان معنای مَثَل و معنای مشتقات آن می پردازد. و به کاربرد آن و مشتقاتش در جاهای مختلف اشاره می کند.

و «مشکاة» را مقید می داند که همه کلمات و فقرات بعد، قیود او حساب می شوند و در هر یک از قیود به فراخور مطلب و نیاز بحث، به بیان مطلب می پردازد.

و در آخر آیه به تاویل آن و تاویل هر یک از فقرات آن هم اشاره می کند.

در ادامه دو آیه دیگر را نیز تفسیر می کند. و به عبارت رساله حاضر عبارتست از تفسیر

---

۱. تراث الشیعة القرآنی، ج۴، ص۵۵۳.

۲. مقدمه اشعه نور به تحقیق علامه مصطفوی، ص۲۳.

۳. اعیان الشیعة، ج۱۰، ص۲۳۳ـ۲۳۲.

سه آیه۳۴ و ۳۵و ۳۶ سوره نور و تفسیر از استناد بـه روایت و بهره گیری از دیگر تفاسیـر چون *تفسیر غرائب القرآن و رغائب الفرقان* نیشابوری، *تفسیر فخر رازی*، *تفسیر الدر المنثور*، تفسیر *مجمع البیان* و *فخر رازی* ارجاعات بیشتری دارد.

تحقیق ایـن رساله بر اساس تنها نسخه در اختیار از کتابخانه آستـان قـدس بـه شـمـاره عمومی۷۵۱۰صورت پذیرفت.

والسلام

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدللّه ربّ العالمين، و الصلاة على محمّد و آله الطاهرين، ولعنة اللّه على أعدائهم.

قوله عزّ من قائل: ﴿اللّه نور السموات و الأرض﴾

«النور»ماهيته اجمالاً، كانيّته في الظهور، وإن كان ذاته على التفصيل مجهولاً.

ومن المعلوم أنّه كسائر الحقايق من أقسام الممكنات وهو جلّ ذكره منزّه عنه. فالمعنى أنّه جلّ ذكره يهتدي به و ينجلي بارشاده ظلمات الجهل ولو بوسائط؛ كما أنّ النور كذلك، وهذا شانه.

فمعنى الكلام أنّه جلّ ذكره بهذه المثابة، و لا تجوّز في الإسناد و لا في الكلمة، فإنّ الاضافة تفيد المنزلة، و الطرفان مذكوران، فكأنّه تعالى قال: إنّه جلّ و علا من العالم بمنزلة النور لسائر الأجسام، و هذا كقولك: «زيد يد عمرو»، فإنّ الاضافة تفيد المنزلة، و كلّ من الألفاظ مستعمل في معناه، فكأنّك قلت: «إنّ زيداً من عمروبمنزلة اليد من الانسان»، فعدم التجوّز في هذا الكلام واضح، و قيام الاضافة مقام لفظ المنزلة لا يغيّر حال الألفاظ، فقوله ﷺ: «عليّ عليه السلام منّي بمنزلة هارون من موسى»[1] لا تجوّز فيه؛ كما في التشبيه. فإذا أبدلته و قلت: «عليّ هارونى»فلا فرق إلّا بالإسميّة والحرفيّة، فإنّ الاضافة تفيد المعنى الحرفى، كان مدلولاً للفظ المنزلة صار مدلولاً للاضافة. ومن هذا الباب[استعمال] ماء الوجه للعز، بل و ماء العنب للعصير. هذا حال المضاف و الاضافة.

وأمّا المُضاف إليه، فهو العالم والسماء و الأرض، شاع التعبير بهما عنه؛ كما أنّ المشرق و المغرب، شاع التعبير بهما عن جميع الأرض. فالسماء عبارة عن أهل العالم العلوى، و

---

١. الكافى، ج٨، ص١٠٧؛ الأمالى للصدوق، ص١٠٠، ١٥٦، ٢٣٨، ٤٠٢؛ التوحيد للصدوق، ص٣١١؛ الخصال، ص ٢١١، ٣١١، ٣٧٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٣، ٢٨، ١٦٤، ٢٠٩.

الأرض عن أهل العالم السفلي . فهو من قبيل ﴿**واسأل القرية**﴾ و العير و قوله تعالى : ﴿**أيّتها العير**﴾(يوسف(١٢) : ٧٠)وهذا استعمال شايع ، فيقال : «سلطان الصين و والى العراق و قاضي بغداد»و إن لم يكن سكنى لهؤلاء في تلك الاماكن ، فليست الاضافة باعتبار ربط بين الشخص و بين المكان ، بل إنّما هي باعتبار ما بينه و بين أهل تلك البقاع ، و هذا ليس من باب المجاز في الكلمه ، و لا من قيام مذكور مقام محذوف .

و توهّم أنّه من باب مجاز الحذف فاسد ، بل التحقيق أنّ التجوّز في الإسناد ، وأنّ قولهم : «دعينا الغيث وسال الوادي و جرى الميزاب»أيضاً من هذا الباب . فحيث يقطع النظر عن أشخاص القرية و اقتصر النظر إلى ساكنيها كائناً من كان ، فكأنّ المسئول الجامع ؛ فإنّ النظر إليه و إن كان السؤال عن الأشخاص .

وكذا الحال في العير ، فإنّ هذا الكلام إنّما يصّح في مقام لانظر إلّا إلى العير ، فإنّ الأشخاص الذين رموهم بالسرقة عنوا أنّهم مرتبطون بالعير ولا معرّف لهم سواه ، فكأنّ السارق هو العير ، وكذا في الرّعي إذا كان النظر إلى ما أنبته الغيث من غير نظر إلى خصوصية حشيش ، فكأنّه رعى الغيث ، وفي الميزاب و الوادي أيضاً ليس المقصود إلّا استكشاف حال المحلّين ، فكأنّ المحلّ هو الذي يجري و يسيل ، و لا يصح إلّا فيما ينزل المطر منزلة العدم لنكتة ، و يقتصر على نفس الميزاب و الوادي .

و الحاصل ، أنّ إسناد ما للحالّ إلى المَحلّ ، إنّما يصحّ في هذا المقام ، و قد يستعمل المَحلّ و يراد منه ما حَلّ فيه على سبيل التجوّز في الكلمة . فلا فرق حينئذ بين الموارد بخلاف الأوّل ، فإنّه يختلف باختلاف الأحكام و المقامات ، و ذلك كما شاع في ألسنة العرب في هذه الأعصار من التعبير عن أهالى بلدة باسمها ، فيجمع فى مقام ارادة الجمع ، فيقال : «عوامل»لأهل جبل عامل ، و«مشاهدة» ، لأهل المشهد الذي غلب في لسانهم على النجف و«كواظم»لأهل ما يسمّوه بالكاظم و هو البلد باعتبار كونه مشهداً له عليه السلام وهكذا . و السرّ فيه أيضاً قصر النظر في الشخص على هذا الحيثيّة ، فكأنّه ليس إلّا هذا المكان .

و حيث خفى ما حقّقنا على كثير ممّن صنّف في البيان وقعوا فى تشويش عظيم ، و صدر منهم ما يظهر فساده بالتأمّل فيما نبّهناک عليه . و من هذا الباب نسبة المجيء إلى الرّب تعالى في قوله تعالى : ﴿**و جاء ربّک**﴾(الفجر(٨٩) : ٢٢)فإنّ ظهور آثاره و شمول رحمته و نزول عذابه و نفوذ حكمه بمنزلة مجيئه ، و المعنى أنّه يبلغ الأمريوم القيامة مبلغاً ، لو كان

مستنداًإلى غيره من ذوي الأجساد لم ينفک عن مجيء من استند إليه .

و الحاصل ، أنّ السماء عبارة عن أهله ، و الأرض عبارة عن أهلها ، و العدول عن مثل لفظ العالم مع اختصاره للتنصيص على عموم الحكم للجهتين ، وحيث لم يكن للمتكلّم غرض سواه ، فعليه أن يفرد اللفظين . فيقول : «خالق السماء و الأرض» . وأمّا إذا كان له نظر إلى الأفراد ، فلا يجوز الإفراد ؛ بل يجب الجمع كما فى قولک : «لا تتزوّج الثيّبات ، بل الأبكار» ، أو«سل العلماء»أو«اهد المال للفقراء» ، فإنّ الحكم مستوعب لجميع الأفراد . و الغرض التسوية بينها بالتنصيص ، و إن كان يستفاد من السريان فى صورة الإفراد أيضا . و كون الشمول على البدل ، لا ينافى العموم ؛ بل هو أيضاً نحو منه . و ليس هذا من الانسلاخ كما توهّموه ، بل هو بمنزلة قولک : «هذه الثلاثة اختر واحدة منها» ، فقولک : «تزوّج الأبكار» معناه : أنّ الأبكار لک أن تأخذ منها من غير فرق بين الواحد و الأكثر .

و بهذا البيان يندفع التناقض في الاستثناء ، فظهر أنّه حيث يختلف حال الجهتين فى كون النظر في إحداهما إلى نفس الجهة و في الأخرى إلى الخصوصيات ، فلا بدّ من الفرق بالجمع و الإفراد ، كما في المقام ؛ فإنّ هداية أهل السماء بالوحى و الالهام . فانّه تعالى نورهم على وجه التفصيل ، فإنّه لا فاعل لهدايتهم غيره عزّوجل . و أمّا أهل الأرض فهدايتهم بواسطة الأنبياء و خلفائهم ، فلهم نور غير الله تعالى ، وإن كان منتهى الأمر إليه تعالى ، فإنّ الفاعل له مراتب ، فالأمر نحو من التسبب ، و المباشرة نحو آخر ، و يختلف المباشر و السبب بالشدّة و الضعف . فقد يتمحّض المباشر في الآلية فالسبب أقوى ، وإن صحّ الاستناد إلى الآلة كالسمّ و من يرسله أو يسقيه و كذا حفر البئر و الإلقاء فيه .

و الحاصل ، أنّ الرّسول من حيث المغايرة الذاتيّة مستقل في الفاعليّة ، وليس فعله مستند إلى الله تعالى ؛ نعم من حيث الخلافة فعله مستند إليه عزّ و جلّ ، بل النائب عين المنوب عنه تنزيلاً . و الاتحاد التنزيلى عبارة عن عدم التميّز في المنزلة التي هي الجامعة ، و هو المصحّح للتجوّز في المجازات ، ففي مرحلة الشجاعة لا تميّز بين المفترس و الانسان ، فحيث يقتصر في النظر إلى الحيثية و لا يرى من المفترس إلّا الشجاعة ، فالانسان الشجاع عينه .

فكذا لا يرى في الحاتم إلّا الجود و في سلمان إلّا التقى ، فمن اتّصف بهذه الصفة و دخل فى هذا العنوان ، فهو ذلک الشخص الذي تمحّض في الحيثية المخصوصة ؛ لاضمحلال

سائر جهاته فيها في الملاحظة . فهذه منزلة لا فرق بين ما فيها من الأشخاص ، غاية الأمر أنّ لها أصلاً و تابعاً في لحاظ آخر .

و على هذا المعنى يترتّب آثار كثيرة و أمور عجيبة ، فالخطّ يتّحد مع اللفظ و اللفظ مع المعنى ، بل الجلد و الغلاف مع اللفظ بوسائط ، و كلّ ما كان أقرب ، كانت الآثار أزيد ممّا لم يكن كذلك ، فحيث يقطع النظر عن الخصوصيات و لوحظ الامكان و الوجوب ، فلا فاعل إلّا الله تعالى ، و لا منفعل إلّا الممكن ، هذا فى مرحلة الجمع و الاجمال .

و أمّا في مرتبة التفصيل ؛ فلا ربط بين الأسباب ، بل إنّما هى أمورمتباينة متغايرة ، ولكلّ واحد مرتبة يختصّ بها ، فأهل الأرض وإن استندت هدايتهم أيضاً الى الله تعالى إلّا أنّه على وجه الاجمال ، بمعنى أنّه منتهى الأمر ، وأمّا فى مرحلة التفصيل ، فلغير خلفائه هداة آخر .

وإلى هذا المعنى أشار تعالى بالتفصيل بين السماء و الأرض ، فجمع الأوّل و أفرد الثانى ، و المعنى أنّه عزّ و جلّ نور أهل السماء على التفصيل ، فكلّ شخص من أهل العالم العلوى يهتدى بالله تعالى . وأمّا أهل الأرض ، فهدايتهم وإن استندت إليه تعالى إلّا أنّ لهم هداة سوى الله تعالى في مرحلة التفصيل و ملاحظة الخصوصيات .

فالحاصل ، أنّ الله تعالى نور لأهل السماء تفصيلا و لأهل الأر ض جملة ، و حيث أنّ الهداية المستندة إليه تعالى جملة ، لابدّ من استنادها إلى غيره تفصيلاً بحيث لا ينافى الجملة .

و هذا لا يكون إلّا بكون المباشر منصوباً من قبله ليصحّ كون الله تعالى منتهى السلسلة الهداة . فدلّت الآية على أنّ لله تعالى نوراً في الأرض و خليفة و عَلَماً يهتدي به الناس ، فالله تعالى نور العالم و الخليفة نور الله في الأرضين .

فتحصّل ممّا ذكرنا أمور :

الأوّل : أنّ المراد بالنور الهادى .

والثانى : أنّ المراد بالسماء و الأرض أهلها .

والثالث : أنّه تعالى أراد من الجمع و الإفراد الدلالة على أنّ له فى الأرض خليفة . فهذا المعنى مدلول للكلام ؛ بل هو الأصل فيه ، و ما تقدّم عليه توطئة له .

و من المعلوم أنهّ التفسير بالرأى . قال الله تعالى فيه : «ما آمن بي من فسّركلامى برأيه»[1]

---

١ . التوحيد ، ص٦٨ ؛ عيون أخبار الرضاﷺ ، ج١ ، ص١١٦ ، ح٤؛ الاحتجاج ، ص٤١٠ ؛ بحارالأنوار ، ج٢ ، ص٢٩٧ ، ح١٧ ؛ الأمالى للصدوق ، ص٥٥ .

و قال رسول الله صلی الله علیه و آله: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». [1] و الأخبار عن أهل العصمة علیهم السلام فی هذا المعنی. [2] فوق حد التواتر.

والحاصل، أنّ القرآن لا يعرفه إلّا من خوطب به، [3] فما حكمنا به من ارادة هذه المعانی ليس من التفسير بالرأی، بل يدلّ عليه نفس الكلام، و يوافق بيان اهل البيت علیهم السلام.

أمّا الأوّل، فكونه مدلولاً للفظ قد ظهر مما مرّ. و أمّا الروايات الدالّة على أنّه المراد؛

فمنها: ما رواه محمد بن يعقوب، عن علیّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن عباس بن هلال قال:

سألت الرضا علیه السلام: عن قول الله عزّ و جلّ ﴿**الله نور السموات و الأرض**﴾ فقال: هاد لأهل السموات و هاد لأهل الأرض. و فی رواية البرقی: «هدى من في السموات و هدى من في الارض» [4]

روی ابن يعقوب عن علیّ بن محمّد عن علیّ بن عباس، عن علیّ بن حمّاد عن عمر بن شمر، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام قال:

إنّ رسول الله صلی الله علیه و آله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصی، و هو قول الله عزّ و جلّ: ﴿**الله نور السموات و الأرض مثل نوره**﴾ يقول: إنّها هادي السموات و الأرض. [5]

روی ابن بابويه قال: حدّثنا ابراهيم بن هارون الهيتی بمدينة السلام، قال حدثني محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قال: حدّثنا الحسين بن أيّوب، عن الحسين بن سلمان، عن محمد بن هارون الذهبي، عن الفضيل بن يسار قال:

قلت لأبي عبد الله علیه السلام: ﴿**الله نور السموات و الأرض**﴾ قال: علیه السلام كذلک الله عزّ و جلّ، قلت: ﴿**مثل نوره**﴾ قال: محمد صلی الله علیه و آله [6]

فدلّت على أنّ الفقرة الأولى معناها واضح، و المراد هو الذي يستفاد منها حيث خصهّا بعدم التفسير. و قوله علیه السلام: «كذلك الله عزّ وجلّ» صريح في وضوح معنى هذه الفقرة، بل

۱. الحدائق الناظره، ج۱، ص۲۹؛ التفسير الكبير، ج۷، ص۱۹۱.
۲. بحارالأنوار، ج۳۰، ض۵۱۲.
۳. تفسير نور الثقلين، ج۴، ص۳۳۲، وفيه: إنمّا يعرف القران من خوطب به.
۴. الكافی، ج۱، ص۱۱۵؛ التوحيد، ص۱۵۵.
۵. الكافی، ج۸، ص۳۸۱؛ بحارالأنوار، ج۴، ص۱۹؛ ج ۲۴ ص۳۶۹.
۶. بحارالأنوار، ج۴، ص۱۶؛ التوحيد، ص۱۵۷.

أصرح عبارة فى هذا المعنى، وفيه الكفاية. و ظهر الأمر الثاني من قول الرضا عليه السلام.

أمّا أنّه معنى الكلام مع قطع النظر عن الروايات؛ فلأنّ الهداية معناها التفسيري لا يلائم إلّا لذوى العقول. و أمّا تسبيح كلّ شيء بحمده، فهو مما لا يفقهه أهل هذا العالم، كما هو صريح القرآن.[1] و من هذا الباب قوله تعالى فى سورة فصّلت: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾(فصّلت(٤١): ١١) و قوله تعالى ﴿**إنّا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها**﴾(الأحزاب(٣٣): ٧٢) فشمول الهداية لجميع الأشياء في عالم آخر لا ينافي اختصاص ذوي العقول بها بحسب التفسير. و الكلام في التفسير لا في البطون، مع أنّ الانسان أولى بالذكر من الأرض، فلا وجه لتخصيص السماء و الأرض بإضافة النور إليهما لوكان المراد المعنى الأعم.

وأمّا الثالث: و الدليل عليه قوله عزّ و جلّ بعده، ﴿**مثل نوره**﴾، فإنّه لا يرتبط بما قبله إلّا على ما ذكرناه، فإنّ النور المذكور صريحاً هو الله تعالى، ولم يتقدّم ذكر نور الله بوجه من الوجوه، و المَثَل ليس للّه تعالى، بل لنوره لا لنور هو الله تعالى. ولا يصلح هذه الإضافة لأن تكون بيانية. كما لا يخفى على من له خبرة بالأدب أو اطلاع على استعمالات العرب.

و الحاصل، أنّه عزّ و جلّ من قائل حكم بأنّ الله نور، فلو لم يذكر سوى ذلک من أنّ له نوراً اقتطع الكلام و صار قوله: ﴿**مثل نوره**﴾ آية مستقلّة و كلاماً أجنبيّاً عن قوله ﴿**الله نور السموات و الأرض**﴾، فالارتباط يتوقّف على دلالة الكلام السابق على أنّ له نوراً حتى يكون ضرب المثل مرتبطاً به، مع أنّ صريح بعض الروايات، أنّ المثل ليس للّه تعالى. و استدلّ الامام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**و لا تضربوا للّه الأمثال**﴾(النحل(١٦): ٧٤).

و يدلّ عليه ما عن الصحابة و التابعين من التفاسير، بل بعض القرائات كقرائة أبي، فإنّها لا تلائم إلّا ما ذكرنا. فعن أبيّ أنّه كان يقرأ«مثل نوره من آمن به»[2] و عن ابن عباس«مثل نوره فى قلب المؤمن».[3] و عن مقاتل بن سليمان أنّه قال: «مثل نوره أى مثل نور الايمان فى قلب محمد صلى الله عليه و آله»[4] و قال جماعة من أهل السنة: إنّ المراد من المشبّه الرسول، لأنّه المرشد و لأنّه تعالى قال فى وصفه: ﴿**و سراجاً منيرا**﴾(الأحزاب(٣٣): ٤٦)[5] و به قال عطا

١. ﴿**لكن لاتفقهون تسبيحهم**﴾(الاسراء (١٧): ٤٤).
٢. غرائب القران ورغائب الفرقان، ج٥، ص١٩٨؛ تفسير الثعلبى، ج٧، ص١٠١؛ تفسير البغوى، ج٣، ص٣٤٥.
٣. التفسير الكبير، ج٢٣، ص٢٣٣.
٤. نفس المصدر، ص٢٣٥.
٥. نفس المصدر، ص٢٢٧.

أمّا ما عن أبّي من ارجاع الضمير إلى المؤمن كما حكى عنه صريحاً، فلا يلائم إلّا ما حقّقناه، حيث أنّ الضمير في الآية راجع إلى الله تعالى قطعاً و لا معنى لرجوعه الى غيره، لعدم سبق ذكره، لكن حيث كان ما دلّ عليه قوله تعالى و الارض نور المؤمن، ونور من آمن باللّه، لأنّ أهل الأرض يهتدون به، فهو نورهم صحّ تفسيره بنور المومن و إن كان الضمير راجعاً إلى الله تعالى، فإنّ لهذا النور إضافتين: **الأولى**، أهل الأرض على التفصيل كما أنّ له تعالى إلى أهل السماءكذلك وإلى أهل الأرض على الاجمال. و **الثانية**، إلى الله تعالى من حيث أنّه من قِبَله. و المدلول الأول للكلام، القسم الأوّل، فهو مضاف إلى الله تعالى و إلى المؤمن. ولَيس مراد أبيّ أنّ الضمير راجع إلى المؤمن.

و أمّا الايمان، فلا ذكر له في السابق، ولم يعبّر عنه بالنور، و إنّما النور عبارة عن الله تعالى فيما تقدّم و إن صحّ التعبير به عن الايمان. و تخصيص المؤمن و ما فيه من نور الايمان أيضاً لا يتمّ إلّا على أنّ في الأرض خاصّة للّه نوراً هو السبب للايمان، فهو من أشعة ذلک ذلک النور الذي هو في الأرض.

و أمّا على مذهب من فسّره بالرسول ﷺ، فالأمر واضح.

و الحاصل، أنّ التفسير لا يخلو عن أحد الأمور الذي تقدّم، وشيء منها لا يتمّ على ما ذكرنا، بل تفسير فقرات المثل بما فرّ ممّا سيأتى إن شاء الله لأيتمّ إلّا على ماذكرنا، كتفسير «المشكوة» بصدر محمد ﷺ، فإنّ المثل و فقراته لا ينطبق على جميع المذاهب إلّا على ما حققناه.

و بالجملة فلاإشكال في أنّ المثل ليس له سبحانه. فهذا النور الذي ضرب له المَثَل غير النور المحمول عليه سبحانه و تعالى. ولو لم يكن الكلام دالاً عليه، لم يرتبط بعضه ببعض.

و فى تفسير النيسابوري

> رأيت في كتب الشيعة عن علىّ عليه السلام مرفوعاً: للقمر وجهان، يضيء بهما أهل السموات الأرضين و على الوجهين مكتوب، أتدرون ما كتابته؟ فقالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: على وجه السموات، ﴿**الله نور السموات و الأرض**﴾ و على وجه الأرض محمد و عليّ نور الأرضين.

و بما حقّقناه ظهر الفساد ما يتوهّم من الأخبار الواردة في هذا المقام، من أنّ مفادها كون الائمة عليهم السلام مثل الله تعالى، فإنّ المثل لاأنّهم المثل.

قال جدّي العلامة المجلسى ـ نورّ الله ضريحه ـ في شرح الجامعة :

المثل محركة الحجّة و الحديث ، و الصفة ، و الجمع المُثُل بضمّتين ، و يمكن قرائته بهما ، فالأئمّة حجج الله تعالى و أعلاهم و المتصفون بصفات الله ، فهم صفته و صفاته على المبالغة ، أو مثلّ الله تعالى بهم في قوله ﴿**الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكوة**﴾ كما روي في الأخبار الكثيرة ، بل ادّعى بعض أصحابنا الاجماع أيضاً أنّها نزلت فيهم .[1]

و هذا من غرائب الكلام . فإنّ النزول فيهم لا يقتضى أن يكون المثل بهم ؛ بل صريح الأخبار أنّه لهم عليهم السلام ، فتفطّن .

قوله عزّ من قائل : «مثل نوره كمشكاة»

أيضاً مشتمل على مضاف و مضاف إليه و اضافة ، و الأخيران تبيّن و ظهر أمرهما مما مرّ اجمالا ، و أمّا الأوّل و هو المَثَل المضروب لما نصبه عَلَماً فى الأرض عجيبة ، لا يقدر أن يضمنه إيّاها غيره تعالى ؛ كما يدلّ عليه قوله عزّ من قائل : ﴿**و الله بكلّ شيء عليم**﴾ و لابدّ أوّلاً من تفسيره و شرحه ، فإنّ معناه قد خفي على الفحول ، **فنقول** :

إنّه و إن اختلف معنى هذه المادّة بحسب اختلاف المشتقات غاية الاختلاف إلّا **أنّ المعنى** الأصلي شيء واحد .

فالتمثيل بالشعر مثلاً عبارة عن إنشاده فى مقام يناسبه .

و التمثيل بين يدى الشخص عبارة عن القيام بين يديه .

والتمثيل ، يقال لذكر المثال ، و يطلق على قطع بعض الأعضاء . و الأمثل بمعنى الأنسب .

و يقال : «ضرب المثل» لذكر الدليل ، كما في قوله تعالى : ﴿**و ضرب لنا مثلاً و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم**﴾ (يس(٣٦) : ٧٨) فإنّه دليل للزنديق على استحالة المعاد ، و قد أبطله الله تعالى بمثل آخر و هو : ﴿**قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرّة**﴾ (يس(٣٦) : ٧٩) و منه قوله تعالى : ﴿ **تلك الأمثال نضربها للناس** ﴾ (الحشر(٥٩) : ٢١) و قوله تعالى : ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**﴾ (الحج(٢٢) : ٧٣)

و قد يطلق المثل ـ بالتحريک ـ على حكاية مناسبة ، كما في قوله تعالى : ﴿**اضرب لهم**

١ . روضة المتقين فى شرح من لايحضره الفقيه ، كتاب الحج ، ج٥ ، ص٦٢ .

مثلاً أصحاب القرية﴾ .

و يطلق على أمر مناسب كما فى المقام، و منه قوله تعالى : ﴿**مثل الجنّة الّتى وعد المتقون**﴾(الرعد(١٣) : ٣٥)

والمعنى الجامع الأمر المناسب للشى، غاية المناسبة اللازم له أو الائق به، غاية اللياقة و هذا فى ضرب المثل واضح .

والتمثيل بالأشعار عبارة عن ذكر ما يناسب كما عرفت .

و التمثيل بالشخص عبارة عن إحداث شكل جديد له بعد أن كان له ما ينطبق عليه و يليق به . فغيّر مثله بالتحريک و جعل ما أحدث فيه مثلاً جديدا، و هذا الشخص أصل فى هذا المثل، و من صار شبيهاً به فهو مماثل له، وقوله تعالى : ﴿**فتمثّل لها بشراً سوياً**﴾(مريم (١٩) : ١٧)معناه أنّ الروح إتّخذ مثل البشريّة لمريم، فظهر لها بهذه الهيئة المناسبة للبشر، وكون مِثل ـ بالسكون ـ كلمة تسوية باعتبار الاشتمال على الجهة اللآئقة بالشىء فأفاد التشبيه و التسوية فى ذلک الجامع .

و الفراش مثال ؛ لأنّه ينبسط بالأرض، فيتبيّن ما به من الشكل كماأنّ الماثلة و هي منارة المسرجة يظهر شكله و تبيّن غاية التبيّن بالاستقامة والظهور لكلّ أحد، فالجامع موجود في الضدّين، و المثال المعروف الذي ظهر فيه الجامع الذى يريدون توضيحه .

و التمثيل بالكتابة و غيرها لاظهار الشىء كونه من هذا الباب واضح .

والتمثال للصورة حيث إنّها ممحّضة لإظهار المثل بالتحريک، و الانتصاب قائماً، [و] تمثّل بين يدي الشخص أي صيرورة شخص لشخص آخر بحيث يتبيّن فيه ما هو عليه من الهيئة .

و الرسوم الماثل فى قوله : «فمنها مستبين و ماثل»،[١] فإنّ المستبين الأطلال، فكأنّ الرسوم لاختصاصها بهيئته جديدة صارت ممحّضة لها باعتبار عدم تغيّرها غالباً و التنكيل، ظهر حاله .

و«**المثلة**»ـ بفتح الميم و ضمّ الثاء ـ العقوبة، و مرجعها إلى إحداث ما يناسب فعله فيه .

و«الأمثال»بمعنى القتل قوداً من هذا الباب . و منه ما يقال للحاكم : «من أمثلني وأقضي و أقدني»، و قولهم : «فلان أمثل بني فلان، و هؤلاء أماثل القوم»، مرجعه إلى الحكم

---

١ . تحمّل منها أهلها وخلت لها . رسوم و منها مستبين وماثل .

بانطباق العنوان اللآئق بالقوم على شخص أو أشخاص . و يقال : «مثل الرجل»إذا ظهر فيه ما يليق به من الفضل و غيره . و«تماثل من علّته»أي أقبل إلى ظهور ما كان يليق به من الصحة . و الامتثال بمعنى الاحتذاء ، و أمره واضح .

فظهر أنّ المعنى واحد ، ينطبق على جميع الموارد . و معنى قول علي عليه السلام :

قد سئل عن العالم العلوي ، فقال عليه السلام : صور عارية عن المواد، خالية عن القوّة والاستعداد ، تجلّى لها فأشرقت ، و طالعها فتلألأت ، ذات فألقى في هويّتها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله ، و خلق الانسان ذا نفس ناطقه ، إن زكيّها بالعلم و العمل فقد شابهت أوائل جواهر عللّها ، فإذا اعتدل مزاجها و فارقت الأضداد ، فقد شارك بها السبع الشداد .[1]

و قوله عليه السلام في حديث كميل :

مات خزانّ الأموال [وهم أحياء]و العلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقوده ، وأمثالهم في القلوب موجودة .[2]

فظهر ممّا مرّ أنّ قولهم : «مثلك لا يفعل كذا»معناه أنّ الذي انطبق عليه ما يليق بك من العنوان لا يفعل ما فعلت . و مرجعه إلى نفي المثلية عن الشخص ، فكأنّه قال : إنّك ما فعلت ، للمنافات التامّة بين ذلك العنوان و هذا الفعل ، و قد يبلغ ذلك العنوان المعبّر عنه بالمُثَل ـ بفتح العين ـ مثابة من الملائمة ينزّل انتفائه عن الشخص إيّاه منزلة العدم . قال الله تعالى في حق ابن نوح عليه السلام : ﴿**إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح**﴾(هود(١١) :٤٦)و منها قوله تعالى : ﴿**و إن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾(المائده(٤٢) :٦٧)

فقوله : «مثل الامير يحمل على الأدهم و الأشهب» ، معناه أنّ من ينطبق عليه العنوان اللآئق بالإمارة يحسن إلى الرعيّة ، و يدفع الظلم عن المظلومين ؛ لأنّ منصبه كونه كهفاً و ملاذا الرعيّة ، و الظالم و من لا يعفو عن الناس و لا يسامحهم ليس أميراً و إن اتّصف بالامارة فإنّ هذه الإمارة كالعدم .

و منه يظهر معنى قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾(الشورى(٤٢) : ١١) ، فإنّ المثل من ينطبق عليه ما يناسب وجوب الوجود ، فنفى التشبيه عن واجب الوجود من حيث هو هو من غير خصوصية للشخص ، فالشبه لو كان لشيء فهو ليس على ما ينبغي للواجب أن يكون عليه .

و فيه بيان لسرّ استحالة الشبيه له تعالى ؛ فإنّه تعالى وإن كان عين الوجود و ليس له

١ . مناقب آل أبي طالب ، ج٢ ، ص٦٠ ؛ غررالحكم ، ج٤، ص٢١٨ ؛ بحارالأنوار ، ج٤٠ ، ص١٦٥ .
٢ . نهج البلاغة ، الحكم : ١٤٨ .

ماهية و وجود يتركّب منهما، كما هو الحال فى الممكنات، من حيث هو زوج تركيبى، إلّا أنّ للوجود أيضاً بحسب الاعتبار مفهوماً و مصداقاً و إن لم يكن من قبيل فرديّة الفرد للماهيات، فإنّ الوجود يجعل الفرد فرداً، فكيف يكون له طبيعة و فرد، فما للواجب يستحيل استناده إلى غير حيثيّة الوجود، لأنّه صرف الوجود و محضه.

وبالجملة، فلا اشكال فى صحّة ما يقال: من أنّ واجب الوجودكليّ منحصر في الفرد على وجه، و هذا المقدار يكفي في اختلاف الأحكام، و حيث أنّ الفرد قد يحكم عليه بحكم الشبيه باعتبار خصوصياته، و قد يحكم عليه باعتبار الجامع، و المقصود بيان أنّ استحالة وجود الشبه مستندةإلى وجوب الوجود، فما كان له شبيه ليس واجباً إلّا أنّ للمصداق المعيّن الذي هو ربّ العالمين خصوصية لا يمكن أن يشبهه شيء باعتبار تلك الحيثية.

و فيه تنبيه على ما يكشف عن التوحيد كشفاً ضرورياً؛ فإنّه من القضايا الّتي قياساتها معها، فإنّ وجوب الوجود لا يعقل إلّا فيما كان بنفسه وجوداً، والذاتي لا يتخلّف و لا يختلف. و ما كان ماهيته عين إنيّته فهو ممحض في الوحدة، لأنّ التعدّد لا ينفكّ عن اختصاص كلّ بنحو من الوجود. و هذا ينافى الوجوب، و كونه منتهى سلسلة الموجودات، بل ليس واحداً و إنّما هو أحد وإلّا لم يكن هو هو، فمثل الشيء هو المشتمل على ما يلائمه وإن لم يكن من نوعه، بل وإن لم يشاركه في ذاتي و لا عرضي، و إنّما انطبق عليه ما يليق به، كالعزّ فإنّه مشتمل على ما هو من صفات الماء من ايجابه للبهاء فى كثير من الأشياء، فصار العزّ من الوجه بمنزلة الماء، و النجوم لأهل الأرض سراجاً و مصابيح مع غاية المباينة فى الذاتيات والعرضيّات. فالمثلية ليست من الأمور الاضافيّة كالشباهة، فلا تتوقّف على أمرين، بل إنّما هوأمر ملحوظ في نفسه، فلهذا كان معنى مثل فلان ـ بالضم ـ، أنّه صار رجلاً فاضلاً، فقد يكون الشخص في حدّ نفسه مثلاً لنفسه، و قد لا يكون مثلاً بخلاف المماثل؛ فإنّه لا يصدق إلّا إذا كان اثنان مشتملين على الجهة اللآئقة، فالكاف ليست زائدة و لا إشعار فيه بوجود شريك له تعالى، و ليس من باب نفي الشريك عنه تعالى بالأولويّة كما توهّموه، حيث لم يعرفوا معنى المثل و حسبوا أنّ معناه المماثل من حيث لا يشعرون.

فظهر، أنّ ضرب المَثَل عبارة عن ذكر ما يلائم الشيء و يناسبه، فهو عزّ و جلّ شبّه ما لنوره الذي جعله خليفة من الأمر اللآئق به المنطبق عليه بحيث لولاه لم يكن نوره نوراً بما هو ينتزع من المشكوة المشتملة على المصباح المتصف بما ذكر في الآية، هذا معنى المثل.

وأمّا«المشكوة»، فهي عبارة عمّا تمحّض في كونه وعاء للمصباح، فالكوّة حيث أعدّت لذلک كانت مشكوة، لا أنّ كلّ كوّة غير نافذة مشكوة كما يتوهم.[1] و القنديل والأنبوبة أيضاً تصدق المشكوة عليهما، وفي المقام أريد بها أحد الأخيرين كما يظهر من الأخبار،[2] فوجه الشبه ليس ما يناسب الإضائة والإشراق، بل إنّما هو ما يلائم تحمّل المصباح.

و توهم[3] «أنّه قلب» و أنّ المراد كمصباح فى المشكوة ناش عن عدم الخبرة بواضحات العربية، و عدم إدراک أسرار التشبيه بالمشكوة، فزعم أنّ الغرض التوسّل بمصباح في الكوّة لتصوير النور، ﴿**و من لم يجعل الله له نورا فماله من نور**﴾(النور(٢٤): ٤٠) و هذا المسكين لم يتعقّل أنّ تشبيه نور الله بمصباح في الكوّة لا محصّل له، بل هو أقبح معنى يتصوّرمن بين المعاني.

و التحقيق أنّ المشبّه به إنّما هو مثل المشكوة، فالمعنى ـ والله أعلم ـ أنّ ما هو نور فى نفسه و ممحّض في الإضائه و الإشراق عند الله تعالى ممحّض في تحمّل المصباح، و هو تمام حيثيته اللاّئقة به، بل تحمّل المصباح فى حقّه عين نوريّته، فأوّل حيثيّة تنتزع من النور من حيث هو نور في حقّ الخليفة عين تحمّل المصباح و عنوان المشكاتيّة، وكون النوريّة عين المشكاتيّة بالنسبةإلى المعنى التحقيقى بديهي الاستحالة؛ لكنّه فرض صرف، يكفي في ضرب المثل.

وأمّا ما في المشبّه و هو نور الله تعالى الذي هو محمّد صلى الله عليه و آله فالأمر كذلك، لأنّ المصباح علي عليه السلام و النوريّة باعتبار النبوّة و تبليغ الرسلات، و لا شيء بعد التوحيد أهمّ من تبليغ الولاية، حتّى لو فرض عدم تبليغه صار كلّ دعوة و تبليغ بمنزلة العدم، و هو صريح قوله عزّ من قائل: ﴿**وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾(المائدة(٥): ٦٧) بل تبليغ التوحيدأيضاً كالعدم حيث إنّه من شروطه.

و **بالجمله**، فلا إشكال في أنّ مقتضى كون مثل النور كمثل المشكوة أن يتّحد ما هو أظهر خواص النور مع ما هوأظهر خواصّ المشكوة. فإنّ التشبيه و إن لم يستلزم ذلک و لا ربط بالاتحاد إلّا أنّ التمحّض فى الوعائيّة و الآليّة المأخوذ فى المشبّه به لا يناسب التمحّض في الاضائة و الأصالة المأخوذ في المشبّه، فمقتضى التشبيه في خصوص المقام أن يكون التمحّض في الاضائه شبيها بالتمحّض في الآليّة للمصباح و تحمّله. و لا يعقل هذاإلّا بأن يكون الاشراق من حيث تحمّل المصباح، فيتحدّ الأمران.

---

١. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج ٥، ص١٩٥.
٢. مجمع البيان، ج ٧، ص٢٦٩.
٣. التبيان، ج٧، ص٤٣٧.

و الأمر في المشبّه كذلك على ما في أخبارأهل البيت عليهم السلام في تفسير «المصباح»، و لكنّه لا يكاد ينطبق على غيره من الاحتمالات الّتي ذكرها فخالفوهم المتشبّهون بالعلماء، و لكن المهمّ الآن تفسير الآية على وجه الاجمال، و للتطبيق مقام آخر.

قوله عزّ من قائل: ﴿فيها مصباح﴾

لمّا كان منشأ انتزاع المثل المشبه به، مشتملا على قيود و ليست«المشكوة»مع قطع النظر عنها صالحة لأن ينتزع منها المثل المشبه به، فلا بدّ من بيانها:

فمنها: كونه مشتملة على مصباح؛ و من المعلوم أنّ هذا أمر زائد على كون المشكوة مشكوة. و«المصباح»ما يرتفع به الظلام، و منه اطلاق الصبح على نور الشمس في أوّل مصادمته لليل. فالشمس مصباح حقيقة، و الصباحة في الوجه من هذا الباب، فإنّها يقابلها ما هو ظلمة في الوجه. و حيث اعتبر فيما تحمّله المشكوة هذا المعنى خصّ بهذا التعبير، و التعبير عن«النور»بالمشكوة بهذا الاعتبار؛ فإنّها المناسبة للمصباح، و ليس المقام مقام بيان درجة النور، و إلّا كان هذا التعبير تحقيراً لما تحمّلته المشكوة.

و الحاصل، أنّ كونه مصباح الدجى لا ينافي كونه شمس الضّحى، و الظرفية في منشأ انتزاع المشبّه به واضحة. و أمّا في المشبّه فعلى أنحاء شتّى و شئون مختلفة، يظهر جميعها فى الأخبار و نشيرإليهاإن شاء الله تعالى في مقام بيان انطباق المشبّه به على المشبه.

فالمشكوة في مقابل المصباح وعاء صرف في نفسه إلّا أنّها حال الاشتمال على المصباح يطلق عليها المصباح، بل مطلقاً، فإنّها أيضا آلة للاصباح كالأنبوبة و الفتيلة و إن اختلفت مراتب الآليّة بالقرب و البعد، بل ربّما يعدّ المجموع من القنديل و الإنبوبةو الفتيلة شيئاً واحداً، فيطلق المصباح على المجموع من حيث المجموع.

ولا يخفى أنّ فى تخصيص الخالق تعالى بالنور و تنزيل من فى الأرض منزلته الذي مرجعه إلى أنّه نور و تخصيص ما في الخليفة بأنّه مصباح أسرار عجيبه، مع أنّ المصباح أيضاً نوربل المشكوة أيضاً مصباح. نَعَم، تعالى الله عن ذلک علواً كبيراً، فإنّ فيه تحديداً ينافي وجوب الوجود كما أنّ في اختيار الظرفية على سائر أنحاء الربط معانى عجيبة و مناسبات بديعة؛ فإنّ ربط المصباح بالمشكوة في المشبّه على أنحاء شتّى، فإنّهما من نور واحد، و المصباح مشتق من نور المشكوة، و هو تاج لرأسه، و نازل منزلته، و اختيار هذا النحو من الربط في المقام لأمور كثيرة.

قوله عزّ من قائل: ﴿المصباح فی زجاجة﴾

قید آخر للمشکوة باعتبار تقیید المصباح، و المعنی المنتزع منه أنّ المصباح یحیط به و یحول بینه و بین ما یطفیه من غیر أن یمنع من الاستصباح؛ بل ربّما یؤیّده کما هو الحال في کثیر من أقسام الزجاجة الموضوعة علی المصابیح. و حیث کان المقصود التنبیه علی أنّ المشبّه له جنبتان فهو للمصباح زجاجة مع أنّه فی نفسه أمر عظیم لا یوصف، کما أنّ النور بالنسبة إلی المصباح مشکوة مع أنّه فی نفسه نورصرف محض

قال تعالی: ﴿الزجاجة کأنّها کوکب درّی﴾

و الکوکب الأمر المتعیّن الجلیل، و منه اطلاقه علی الجبل العظیم، و بهذا الاعتبار یطلق علی النجوم. و«الدري»من الدرّ، وهو استمرار البرکة و الخیر؛ ومنه: للّه درّه فارسا. و«الکوکب الدرّي»علی ما شهد به أهل الخبرة في لغة العرب: العظیم، و في العدول عن الضمیر إلی الاسم الظاهر في المقامین و اختیار«کأنّ»علی«الکاف»، و حمل الذاتي أسرار.

قوله عزّ من قائل: ﴿یوقد﴾

یحتمل أن یکون نعتاً لمشکوة، ومقتضی کونه فعلاً مضارعاً الدلالة علی الاستمرار علی وجه التمدّد. و المعنی أنّ المشکوة مع أنّه وعاء للمصباح لها صفة أخری بملاحظتها في نفسها، وهي أنّها توقد علی وجه الاستمرار.

و المحصّل أنّ المشبّه وهو نور الله تعالی مثله ما یجمع بین أمرین کونه وقاداً في نفسه و حملة للمصباح. و الفاعل فی المشبّه هو الله تعالی و المشبّه به مجرّد فرض غیر واقع، أوصفة لمصباح أو الزجاجةأو لکوکب.

قوله عزّ من قائل: ﴿من شجرة مبارکة زیتونة﴾

مستقر صفة لمشکوة، والمعنی أنّها ثمرة شجرة مبارکة زیتونة. و الشجریة تفید النموّ، بل الاستحکام في الاشتمال علی النفس النامیة، والحشیش وإن أطلق علیه الشجر إلّا أنّه یخصّ بالنجم. و الفرد الأکمل ما في قوله عزّ من قائل: ﴿**مثلاً کلمة طیبة أصلها کشجرة طیبة ثابت و فرعها فی السماء تؤتی أکلها کلّ حین بإذن ربّها**﴾(ابراهیم(١٤): ٢٥ـ٢٤)

و «المبارک» يقرب مفهوماً من «الميمون» المقابل للميشوم . و من المعلوم أنّ هذه صفة معتبرة في الشجرة ، و المشبّه كون ابراهيم عليه السلام بحيث يلد خاتم النبيين صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومين عليهم السلام وغيرهم من الأولياء و الأنبياء و الصلحاء ، و اختصاصه بهذا النسل أظهر شؤون فى كونه مباركاً ، فالمعنى أنّ الخليفة من صلب من استمرّت الخلافة في نسله ، فهذه الشجرة لا تزال تثمر من يهدي إلى الله تعالى ، و هذا معنى كونهم عليهم السلام الدعوة الحسنى .

و أمّا الزيتونة فأظهر خواصّها أنّ عمدة ما يحصل من فاكهتها الدُهن ، و الأصل فيه الاستصباح ، فالمعنى أنّ المشكوة ممحّضة في الأستعداد للاستصباح بما يخرج منه كالزيت المعتصر من الزيتون ، و هذا المعنى في المشبّه واضح ، فإنّ الذريّة الطاهرة كذلك ، أوصفة للمصباح أو للزجاجة أو للكوكب . و فى تعلّقه بـ«يوقد» إشكال ؛ فإنّه لا محصّل له في المشبّه على ما يستّضح ان شاء الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿لا شرقية و لا غربية﴾

تقييد آخر للشجرة المثمرة للمشكوة أو المصباح . و المعنى أنّ الشجرة ليست ممّا على وجه الأرض ، فإنّک قد عرفت أنّ المشرق و المغرب قد يكونان عبارة عن وجه الأرض ، كما أنّ السماء و الأرض يعبّر بهما عن جميع العوالم ، فالمعنى أنّ الشجرة الّتي اعتبرت في المشبّه به شجرة من صفاتها أنّها من العالم العلوي لا ممّا في هذا العالم من الأشجار ، و لا ينافي هذا ما في الأخبار ، لجواز تعدّد المعاني في مرحلة التأليف ، و إن لم يجز الاستعمال إلّا في واحد .

و أمّا ما يناسب ما في الروايات ، فهو أنّ الشجرة لا اختصاص لها بالشرق و لا بالغرب ، و إنّما لها اختصاص بغيرهما . و هذا في المشبّه به عبارة عن أنّه ليس يهودياً ولا نصرانياً . و امّا التفسير بأنّها ليست دعية ولا منكرة ، فهو أنّ الشجرة ليست بمثابة يراها كلّ أحد ، ولا بحيث لا يعرفها أحد ؛ فإنّ ولد الزنا إذا كان دعيّاً هتک حجابه و اشتهر أمره و افتضح ، فهو شرقي . و الذي لا أصل له ولا حسب ليس ممّن يعرف ، فهو غربي ، و على هذاء فهذه الفقرة تحتمل معاني كلّ منها منطبق على ما في المشبّه .

قوله عزّمن قائل: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾

قيد آخر للشجرة. و المعنى أنّ استعداد ما في ثمرة هذه الشجرة للتوقّد ليس من قبيل استعداد ما تعارف من الزيت؛ حيث أنّ الاستعداد على قسمين:

أحدهما: مجرّد الانفعال و إن كان ناشئاً عن الضعف، و عدّ استعداد مقاومة الفاعل، و هذا هو المنساق من الاستعداد.

و الآخر: الترقّي إلى درجات لو تمّت لاستغنى عن الفاعل كما هو الحال في ملكة الفنون. فكلّما ازداد العالم علماً بالفعل ازداد استعداده لما لا يعلم، بل هذا هو الحال فى كثير من الصفات كالسخاوة و الشجاعة و ما يضاهيهما، وا لثقل والسعة وما يضا هيهما، و هذا المعنى في المشبّه واضح، فإنّ النبيﷺ و من تقوم مقامه من الأئمةعليهم السلام في الترقي في مراتب الكمال بمثابة من القرب إلى الواجب كاد أن يعلم أو يقول قبل الوحى، فالممكن يستحيل أن يكون واجبا، لكنّه يبلغ مقاماً لا يعقل فوقه في الإمكان، فينتهى في الترقّى إلى آخر درجات الامكان، و ليس فوقه في الوجودإلّا الوجوب.

فمقتضى قوله تعالى: ﴿**يكاد**﴾، أنّ هذا الانتهاء في مراتب الامكان و عدم الوصول إلى درجة الوجوب مستمر أبداً. و قرب الزيت درجة الاستغناء عن النار في الوقود مستحيل؛ فإنّه كلّما إزداد حسناً و بهاء إزداد صلوحاً للاشتعال بالنار. و يعبّر عن غاية الاستعداد بالاشتعال برائحة النّار أو برؤيته.

قوله عزّ من قائل: ﴿نور على نور﴾

خبرإمّا عن الضمير الراجع إلى نوره، فكأنّه قال بعد الفراغ من المثل: إنّه نور على نور، أو أنّ المشكوة كذلك أو المصباح أو الزجاجة أو المصباح فى المشكاة كذلك أو بيان لقوله: ﴿**من شجرة**﴾.

فلو قرئ بفتح النون فالمعنى أنّ ما اعتبر في المشبّه به من كونه ثمرة الشجرة على وجه لا ينقطع، بل الثمرة على الثمرة فالمشبّه إمام على إثر إمام. و إذا قرئ بالضمّ فهو تعرّض لحال المشبّه ابتداء، معرضاً عن المثل و خصوصيته.

قوله عزّ من قائل: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء و يضرب الله الأمثال للناس﴾

محصّله أنّ المثل و إن كان ممّا يطّلع عليه كلّ أحد و يراه إلّا أنّ الهداية إلى نوره لا تحصّل بمجرد الاطلاع على المثل؛ فالناس في الاطّلاع على المثل شرع سواء، و لا يختصّ به أحد، لكنّ الهداية إلى النور و معرفته يختصّ به من خصّه الله تعالى: ﴿**و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله**﴾(الأعراف(٧): ٤٣)

قوله عزّ من قائل: ﴿و الله بكلّ شيء عليم﴾

إشارة إلى ما أودعه الله تعالى في هذه الآية من الحكم و الأسرار، و ضمّنها من المعاني الغريبة العجيبه ممّا لا يقدر عليه إلّا هو، فإنّه لا يحيط بها غيره تعالى. هذه جملة القول فيما اعتبر في المثل «المشبّه به» على وجه الاجمال.

و أمّا المشبّه، فلا بدّ أنّ يكون ممّا ينطبق عليه جميع هذه الخصوصيات على التفصيل و إلّا لم يشبّه مثل النور لمثل المشكوة المقيّدة بهذه القيود؛ فكلّما ذكر من المعاني ممّا لا ينطبق عليه المثل، فهو باطل قطعاً. و يتعيّن منها ما ينطبق عليه المثل، فإنّ من المسلّم عدم خروج المشبّه عن الوجوه المذكورة. و نذكر أولاً ما هو المراد قطعاً على ما يظهر من الأخبار و تشهد عليه الآثار.

فنقول: «المشكوة» محمد ﷺ الذى هو نور الله تعالى في الأرضين، و كلّ نور فهو من أشعّته، بل كلّ كمال فى كلّ موجود فهو من جهة قبول نبوّته و الاذعان بمنزلته، و «المصباح» علي عليه السلام و حيث أنّ تبليغ إمامته و الحثّ على ولايته أجلّ ما أرسل له و بعث لأجله، كما هو صريح قوله عزّ من قائل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً**﴾(المائده(٥): ٣) و قوله عزّ من قائل: ﴿**وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته**﴾، فكونه نوراً عين كونه مشكوة؛ فإنّ تحمّله لتبليغ الولاية من أعظم شئون النبوّة و الرسالة، فهو نور محض من حيث أنّه وعاء صرف للمصباح، فلولم يكن مبعوثاً إلّا للدّعوة على الولاية لكان أيضاً نوراً محضاً؛ فإنّ كونه كذلك إنّما هو بمعنى كونه هاديا. فهذا المعنى المستفاد من الآية الشريفة مجرّد فرض لا يعقل وقوعه في الخارج بالنسبة إلى المشبّه به، وفي المشبّه، متحقّق على أتمّ وجه يتصوّر.

و اختيار هذه النسبة بين النبي ﷺ و الوصي عليه السلام فى التمثيل على سائر النسب للدلالة

على أنّ قوام النبوّة بهذه النسبة لا بسائر النسب، أو أنّها الأصل في الهداية.

و في كون الوصى مصباحاً دلالة على أنّ النبيﷺ و إن كان نوراًإلّا أنّ كشف الظّلام بالوصي، فالصبح و إن كان عين نور الشمس إلّا أنّه لمصادمته الدجى اختصّ بكونه صبحاً في هذا الحال.

فبه يظهر ما هو الأصل في بعث النبىﷺ، كما يظهر من اختصاص الغدير باكمال الدين و إتمام النعمة و ارتضاء الاسلام ديناً و من قوله عزّ من قائل: ﴿**و إن لم تفعل فما بلغّت رسالته**﴾، و فى العدول عن التشبيه بالمثل دلالة على المبالغة أعني أنّ الأصل أن يقول تعالى: مثل نوره كمثل مشكوة كما في كثير من الآيات، والمعنى حينئذ أنّ تمحّض النبيﷺ للهداية إلى الوصي عليه السلام يشبه تمحّض المشكوة لتحمّل المصباح، كما أنّ شجاعة زيد تشبه شجاعة الأسد، ولكن في تشبيه زيد بالأسد معنى ليس في تشبيه الشجاعة بالشجاعة. و هذا المعنى أشدّ في قولك: «كانّه هو»، وفوق ذلك أن يقال: «هو هو».

و«الزجاجة»الحسنان عليهما السلام و المعنى أنّ نسبة الأئمة عليهم السلام الذين من نسل النبىﷺ و الوصي عليه السلام إلى هذا النور الذي هو مصباح نسبة الزجاجة إلى المصباح، فإنّهم عليهم السلام حفظة الدين، و بهم يستمرّ ما حصلت من الهداية، فيحولون بين الشياطين و حزبهم و بين المصباح، فبهم يستضىء الناس بهذا المصباح، فمن وراء الزجاجة يستضاء بالنور و الزجاجة إن توجب الازدياد فلا تمنع من الانتفاع، و إنّما شأنها الحفظ، و حيث أنّه عزّ من قائل أراد أن ينبّه على مقاماتهم عليهم السلام قال: ﴿**الزجاجة كأنّها كوكب درّى**﴾ فعظّم شأنهم عليهم السلام في مرحلة الزجاجيّة. فإنّها تحمل للوحى و الرسالة، بل في العدول من الضمير إلى الاسم الظاهر دلالة على أنّ كلاً من المصباح و الزجاجة لهما حيثيتان و ذاتيّتان، فعلىّ عليه السلام له هذه المنزلة و هى كونه أبا الأئمة عليهم السلام و كونهم عليهم السلام من ذريّته إلى يوم القيامة، فيرثون و يحفظون علومه و آثاره، كما أنّ الأئمة لشدّة نورهم و عظم منزلتهم في حدّ أنفسهم كاد أن يشبه أمرهم في الزّجاجيّة، فكأنّهم كوكب درّي لا زجاجة لمصباح مع عدم المنافاة بين الأمرين، بل الزّجاجة، مقوّمة للكوكبيّة.

و في التعبير بـ﴿**كأنّ**﴾ قائدة جليلة و دقّة لا تكاد تدرك، فالكوكب إن كان عبارة عن النجم المضىء الثاقب، فالمعنى أنّ الزجاجة يظنّ أنّها ليست زجاجة، بل شمس مضيئة. و إن كان عنواناً بمعنى العظيم المعيّن الذي لا يحصى منافعه، كما هو مقتضى أصل الوضع،

فالمعنى أنّ الزجاجة لا يمكن توصيفها بملاحظتها في نفسها . و غاية ما يمكن تقريب حقيقتها به أن يقال : إنّها كوكب درّي ، فالزجاجة تقرب من هذا العنوان تقريباً لا تحقيقا .

ثم إنّه تعالى قيدّ المشكوة بأنّها توقد ، فالمثل منتزع من مشكوة متّصفة بهذه الصفة و هى كونها و قّادة على وجه الاستمرار من الله تعالى ، كما هو مقتضى المضارع الدالّ على الاستمرار التجدّدى ، أو قيد للمصباح أو الزجاجةأو الكوكب ، والمعنى على جميع التقادير بالنسبة إلى المشبّه واضح .

ثمّ وصف المشكوة بأنّها من شجرة ، و المعنى أنّ المشكوة ليست ممّا يختصّ بها زمان ؛ فإنّها ثمرة شجرة طيبّة أصلها ثابت و فرعها في السماء ، و استمرار المشكوة باستمرار خلفاء النور الاوّل ، و الكلّ فيهم جهة المشكاتيّة ، و على تقدير أن يكون الوصف للمصباح أو للزجاجة أو الكوكب فالأمر في المشبّه واضح . و أمّا كونه لغواً متعلّقاً بـ﴿**يوقد**﴾فغلط صرف حيث أنّ الوقود في المشبّه من الله تعالى و إبراهيم عليه السلام مولد للأنوار لا منوّر .

و قوله تعالى : ﴿زيتونة﴾

يحتمل أن يكون وصفاً معيناً للشجرة تسمية لها باسم ثمرتها ، و أن يكون وصفاً مستقلاً للشجرة بمعنى أن يكون الأصل ذا جهتين من إحداهما : شجرة و هى استمرار هذه الثمرة ، و من الأخرى : ثمرة و هي الزيتون ، وهي كون الذرّية الطاهرة بمنزلة المعتصر من الأصل . فالذرّية بمنزلة الزيت المعتصر من الزيتون ، و انطباق الوصف بـ؟﴿**لا شرقية و لا غربية**﴾ على المشبّه واضح .

و قوله عزّ من قائل : ﴿يكاد زيتها يضيء﴾

انطباقه على المشبّه لا يحتاج الى البيان . و كذا قوله تعالى : ﴿**نور على نور**﴾على جميع التقادير .

و الأظهر أنّه إخبار عن النور الذى ضُرب المثل له . فبعد ما دلّ على أنّ له تعالى في الأرض نوراً ، ضرب له مثلاًأوّلاً و بعد الفراغ قال : إنّ ذلك النّور لا يزال ؛ فإنّه كلّما ذهب واحد ورثه الآخر . و هذا كان مستفاداً من المثل ، فهو تأكيد أو أنّ المعنى«أنّ المثل ربّما يوهم المغايرة لاختصاص البعض بكونه مشكوة ، و الآخر بكونه مصباحاً أو زجاجة إلّا أنّ الكلّ أنوار ، بل الكلّ نور واحد .

فتبيّن به أمران : **أحدهما** : أنّ كلاً من المشكوة و المصباح و الزّجاجة نور .

و الآخر : أنّ الجميع نور واحد ؛ فإنّ النور المحض البالغ للنهاية يعبّر عنه بهذه العبارة . و قوله عزّمن قائل ﴿**فى بيوت**﴾ ، خبر آخر عن الضمير الراجع إلى النور ، و المعنى أنّ النور الذي هو الخليفة في بيوت ، قدر الله تعالى أن يعظّم و يذكر فيها اسمه بالغدوّ و الآصال ، و هي الروضات فإنّهم عليهم السلام فيها ، و ظهور مقاماتهم بعد ارتحالهم عن هذه النشأة أو غيبتهم لعدم الدواعي على إخفائهم و قتلهم و الافتراء عليهم .

و قوله عزّ من قائل : ﴿**رجال**﴾ كشف للحجاب و تصريح بأنّ المشكوة و المصباح و الزّجاجة رجال معصومون ؛ فإنّ مرجع ما ذكر في الآية في الأوصاف إلى العصمة ، و هذا المعنى إنّما يتبيّن ببيان أمور :

منها : كون فى البيوت مستقراً خبراً عمّا يرجع إلى النور .

ومنها : أنّ البيوت مشاهدهم المقدّسه لا غير .

و منها : أنّ الأوصاف المذكورة فى الآية لا تنطبق إلّا على العصمة .

أمّا الأوّل : فلأنّ غيره ممّا توهّم فيه باطل فهو المتعيّن ، أمّا تعلّقه بالمشكوة بأن يكون وصفاً لها على ما توهّمه جمع[1] من المفسرّين ، فلمنافاته لانقطاعه عن المثل ، و كونه كلاماً مستقلاً مستأنفاً المدلول عليه بقوله عزّ من قائل : ﴿**و يضرب الله الأمثال**﴾ ، فإنّه نصّ في الفراغ عن المثل و قيوده . و لا معنى لتقييد المثل بقيد آخر بعده ؛ مع أنّ تقييد «المشبّه به» بكونه في البيوت الموصوفة بتلك الأوصاف لا محصّل له ؛ فإنّ البيوت عندهم عبارة عن المساجد ، و كون المشكوة في المساجد لا يزيدها حسناً ولا بهاء ؛ بل ليس شيء من الأمكنة ممّا تؤثّر في المشكوة أو المصباح .

و أمّا كونه خبراً عن قوله تعالى : ﴿**رجال**﴾ فأوضح فساداً ، فإنّه على هذا لا ربط له بالكلام السابق ، و هو في نفسه أيضاً لا محصّل له ، فإنّ معناه على ما توهّم بعض المفسّرين حينئذ أنّه تعالى أخبر بعد ما فرغ من التعرض لأحوال النور بأنّ في المساجد رجال يقدّمون الصلاة على التجارة و البيع ، و مثل هذا الكلام لا يصدر عن جاهل ، فكيف يسند إلى ربّ العالمين ؟ و أيّ حُسن فيه حتى يكون آية ؟ وأيّ فائدة في التعبير عن المساجد بهذه العبارات ؟ وأيّ ثمرة لهذا التفصيل في أحوال المصلّين ؟

---

١ . التفسير الكبير ، ج٢٤ ، ص٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن ، ج١٢ ، ص٢٦٥ .

و أمّا ما قلناه فهو كلام متّصل يشهد على أنّه كذلك قوله عزّ من قائل بعد ذلك : ﴿**و الذين كفروا إنّما نملي لهم**﴾(آل عمران(٣) : ١٧٨) ، فإنّه يكشف عن أنّه تعالى و إن فرغ عن المثل إلّا أنّه لم يعرض عن التّعرض لأحوال النور ، فإنّ قوله تعالى : ﴿**و الذين كفروا**﴾شروع في التعرض لما يقابل الأنوار ؛ فهذا أيضاً في الحقيقة بيان لما يرتبط بأنواره ، فهذه مثل للمغوين المضلّين في أعداء الدّين و حزب الشياطين .

وأمّا فائدته على ما قلناه فواضحة ؛ فإنّ هذه عنايةأخرى بالأنوار حيث أنّه تعالى قدّر الاهتداء بهم ، و التبرك بقبورهم بعد مماتهم ، فإنّ محصّله أنّهم و إن قلّ الاهتداء في حياتهم إلّا أنّ أمرهم يظهر بعد مماتهم ، فيلتجأ الناس إلى قبورهم ، و يتّبعون آثارهم ، و يتبرّؤن من أعدائهم ، فهو بيان لكيفية هدايتهم و خلافتهم . و بعض الحكم في جعلهم فى الأرض بعد ما كانوا بعرشه محدقين .

و أمّا الثانى فلقوله عزّ من قائل : ﴿**أذن**﴾ ، فإنّه لا يصلح فى المقام إلّا لمعنى التقدير ، كما في قوله تعالى : ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله**﴾ (الحشر(٥٩) : ٥)و قوله تعالى : ﴿**ماهم بضارّين به من أحدإلّا بإذن الله**﴾(البقره(٢) : ١٠٢)و قوله تعالى : ﴿**تؤتى أكلها كلّ حين بإذن ربّها**﴾(ابراهيم(١٤) : ٢٥)و منه الحديث :

> إنّ الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون اليه ، وأمرهم و نهاهم ، فلا يكونون آخذين و لا تاركين إلّا بإذن الله[1]

و من هذا الباب توقّف تأثير السحر على إذنه الذي من أخبار كثيرة .[2]

و الحاصل ، أنّ الإذن من مراتب القدر ، فإنّه قضاء و قدر و إذن وأجَل و كتاب على ما يظهر من الأخبار ، وغير هذا المعنى لا يناسب المقام ؛ فإنّ التعظيم إمّا مأمور به لرجحانه ، و إمّا لارجحان له ، فهو لغوصرف و بقصد التشريع و البدعة له حكم البدعة . و أمّا ذكر اسم الله تعالى فهو جائز مرخّص فيه في جميع الأمكنه و لا الاختصاص للمساجد به .

إن قلت: إنّ هذا التقدير لا يختصّ به مشاهدهم ، بل كلّ مسجد كذلك ، روى ابن أبى عمير عن بعض أصحابنا قال :

قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّي لأكره الصلاة في مساجدهم ، فقال عليه السلام : لا تكره ، فما

---

١ . الكافى ، ج١ ، ص١٥٨ ؛ التوحيد ، ص ٣٤٩و٣٥٩ ؛ بحارالأنوار ، ج٥ ، ص٣٧ ؛ تفسير نورالثقلين ، ج٥ ، ص٢٧٩ .
٢ . تفسير نورالثقلين ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ .

من مسجد بني إلّا على قبر نبيّ أو وصيّ نبيّ قتل، فأصاب تلك البقعة رشّة من دمه، فأحبّ الله أن يذكر فيها، فأدّ فيها الفريضة و النوافل، و اقض ما فاتک[1]

فحينئذ لا مانع من أن يكون المراد بها المساجد.

قلت: على هذا فكل مكان أعدّ لهذا المعنى يصدق عليه هذا العنوان، لكن فى خصوص الآية الشريفة حيث أنّه خبر عن النور، و إنّما دار الأمر بين خصوص مشاهدهم أو الأعمّ من مساكنهم، و عدم دخول سائر المساجد فيها واضح.

وأمّا تفسيرها ببيوت الأنبياء أو المساجد في الأخبار،[2] فلاينافى ما ذكرنا على ما سيظهر إن شاء اللّه تعالى مع أنّ فى التعبير بالمساجد ايجازاً لا وجه للعدول عنه إلى هذه الاطناب.

و أمّا على تفسيرنا فهذا إخبار بالغيب؛ و محصّله أنّه تعالى أراد أن يترتّب هذه الآثار على مواضع ضرائحهم المقدّسة، والمعبديّة جهة تستفاد من هذاوإلّا فهي فى الأصل مقابر، فمن حيث هى بيوتهم صارت بهذه المثابة لا بمجرّد الانتساب، بل لااستقراراً هم فيها لا استقرار في بعض الأزمنة كما في دورهم، بل إلى الحشر؛ فإنّهم عليهم السلام يحشرون من قبورهم، فهم عليهم السلام فيها ما دامت الدنيا، فحيث أنّ هذه الجهات غير حاصلة إلّا في مشاهدهم، فهي المعيّنة بالخصوص في الآية، لا ما يعمّ مساكنهم، فإنّها لم تكن بهذه المثابة قطعاً لا تشريعاً و لا تكويناً.

و أمّا أبدانهم المقدّسة، فهي لو صحّ التعبير عنها بالبيوت، و وقع في غير هذا المقام أيضا، فلا تصحّ في خصوص المقام؛ لأنّ ما يرفع و يذكر للمفعول إنّما هو لنفي اختصاص شخص بالفعلين، والمعنى أنّ البيوت معابد للناس، و لا مناسبة بين هذه الصفة و بين أبدانهم الشريفة عليهم السلام. و رفع هذه البيوت بإذن الله تعالى عبارة عن تعظيمها، وأمّا رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى، فلا يصلح لأن يكون رفعاً لها.

و يحتمل أن يكون المراد بالاسم النور الذي هو في البيت، فإنّ اطلاق اسم الله تعالى عليهم شائع في الأخبار.

۱. الكافى، ج۳، ص۳۷۱؛ جامع أحاديث الشيعة، ج۴، ص۴۳۱؛ تهذيب الأحكام، ج۳، ص۲۵۸.
۲. مجمع البيان، ج۵، ص۲۷۱.

و قوله عزّ من قائل: ﴿يسبّح﴾

بالبناء للمفعول نعت آخر للبيوت، و المعنى أنّ تلك البيوت تبلغ هذه المنزلة، و هي أنّ الناس يعبدون الله تعالى فيها بالغدوّ و الآصال، كما أنّهم اتّخذوا من مقام ابراهيم مصلّى، بل هذاأيضاً داخل في هذه الآية أيضاً على ما يظهر من بعض الأخبار.

قوله عزّ من قائل: ﴿رجال﴾

إخبار آخر عن الأنوار و بيان و كشف، و المعنى أنّهم رجال معصومون، فإنّ المعنى أنّ شيئاً ممّا سوى الله تعالى لا تلهيهم عن ذكر الله تعالى، و المراد بهذا الذكر كونه تعالى نصب أعينهم بحيث لا يفعلون إلّا ما يؤمرون، فإنّ الذي يتّبع هواه ممّن نسى الله تعالى، و إن كان ذاكراً له بلسانه، بل حاضراً في قلبه؛ فإنّه بمنزلة العدم، قال عزّ من قائل: ﴿**قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى**﴾(طه(٢٠): ١٢٦)، و مثلها كثير في القرآن و الأخبار، فالذكر المعتدّ به إنّما هو الذي يشغل العبد حتى عن نفسه، فإنّه الذي يليق بجنابه، وإلّا فليس ذاكراً له تعالى من حيث أنّه هو ذكر.

و تخصيص التجارة بالذكر من بين الملهّيات من حيث أنّها الملهية غالباً للناس؛ و كذاالبيع. و النسبة بينهما عموم من وجه، و هو من قبيل قوله عزّ من قائل: ﴿**يوم لا ينفع مال و لا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم**﴾(الشعراء(٢٦): ٨٨-٨٧)فإن المعنى أنّه لا ينفع فيه شيء من الأشياء إلّا الايمان و الملكات الحسنة، و حيث أنّ المال و البنون أعظم ما ينفع للانسان، خُصّا بالذكر، و اكتفى بهما عن الباقي، و كذا قوله عزّ من قائل: ﴿**منه شراب و منه شجر**﴾(النحل(١٦): ١٠)

قوله عزّ من قائل: ﴿و إقام الصلاة و إيتاء الزكوة﴾

تعميم لما لا يلهيهم شيء ممّا سوى الله عنه إلى افعال الجوارح الّتى أمروا بها، فالمعنى أنّهم في جميع العبادات بمثابة لا يلهيهم شيء ممّا سوى الله عنها، و ذكر الصلاة و الزكاة لأنّهما العمدة، و هذا معنى الحصر في قوله تعالى: ﴿**وما أمرو إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة**﴾(البيّنة(٩٨): ٥)، فإنّ حصر المأمور به في جميع الكتب المنزلة بعد التوحيد في الصلاة و الزكاة لأنّهما العمدة في العبادات، و هذا معنى ما عن ابن عباس من تفسيره، باخلاص الطاعة لله تعالى.[1]

١. مجمع البيان، ج٧، ص٢٥٤؛ تفسير الثعلبى، ج٧، ص١٠٩.

و قوله عزّ من قائل : ﴿يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب و الأبصار﴾

فإنّ المراد بهذا الخوف ما كان صادقاً بأن يترتّب عليه الأثر ، و معه لا يعقل إلّا أن يكون العبد كالميّت بين يدي الغسّال بالنسبة إلى ربّه ، و كيف لا وهو لا يغفل عنه و يعرفه ، فهو حاضر ينظر اليه دائماً ، و شاع في الآيات و الأخبار سلب الخوف عمّن لا يراقب الله تعالى ، و تخصيص من يتّق الله تعالى بأنّه يخاف و يخشى .

و التعبير عن القيامة بهذا العنوان للاشارة إلى أنّ هؤلاء الرجال مخصوصون بعرفان ما هو المقرّب و المبعّد ، وبأنّه لا نظر لهم إلى الجزاء . و قد قال عزّ من قائل : ﴿**إلّا من أتى الله بقلب سليم**﴾(الشعراء(٢٦) : ٨٩)فحيث أنّ هذا هو اليوم الذي حصّل فيه ما في الصدور ، يفنكشف الغطاء بالتقلّب لا يبقى في القلوب و الأبصار ـ أي النفوس ـ شيء إلّا يظهر و يترتّب عليه الأثر عبّر عنه بهذه العبارة . و قد قيل في معنى التقلّب أمور واضحة الفساد .

و التعبير عن النفس الناطقه باعتبار بعض مراتبها بالقلب ، و باعتبار بعض مرابتها بالصدر ، و باعتبار آخر بالسمع و البصر ، شائع في الآيات ، قال عزّ من قائل : ﴿**فإنّها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب الّتى فى الصدور**﴾(الحج(٢٢) : ٤٦)و قال تعالى﴿**لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنک غطائک فبصرک اليوم حديد**﴾(ق(٥٠) : ٢٢)

قوله عزّ من قائل : ﴿**ليجزيهم الله...**﴾(النجم(٥٣) : ٣١)

«اللّام»فيه للعاقبة لا للغاية ، فإنّ المجازاة بالمساوى لاتصلح لأن تكون باعثة على العمل ، وأمّا الأحسن ، بل الزيادة من الفضل ، فلا يمكن أن يكون باعثاً على العمل ، فإنّ الزيادة فضل لاجزاء ، و الجزاء الأحسن أيضاً فضل ، فهذا إخبار بأنّه تعالى يعامل مع هؤلاء الأنوار هذه المعاملة و يخصّم بهذه الكرامة ، وأصرح منه قوله تعالى بعد ذلک : ﴿**و الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾(النور(٢٤) : ٣٨)و المعنى أنّ الذي شاء الله تعالى أن يرزقه يعطيه ما لا يتناهى .

فالذى ظهر من التدبّر في هذه الآيات ، أنّ المشاهد المقدّسة مواضع أنوار الله تعالى و خلفائه ، و من أعظم نعمائه أنّه رفع الموانع الحاصلة في حياتهم عن الاهتداء بهم بعد الممات ، فما هو اللائق بتلک المشاهد يتحقّق في الخارج من التعظيم و العبادة فيها ، فهي ممحّضة للعبادة بمشيئة الله تعالى .

كما أنّ الكعبة كذلك، بل الذي يظهر بالتأمل في هذه الآيات أنّ المشاهد هي الأصل في المعبديّة، فهى أولى من الكعبة بجميع الأحكام ما عدى الاستقبال و الحجّ و الاحرام؛ فإنّ المصلحة في نفس هذه الأحكام، وأمّا الاحترام فهو لما في المكان من الرفعة و المنزلة و الانتساب إلى الله تعالى.

و قد ظهر أنّ نسبة هذه المشاهد إلى الله تعالى أشدّ بمراتب لا يتناهى اليه تعالى وأنّ العناية بها أجلّ وأعلى.

[دراسة فى أخبار الباب و أقوال العلماء]

هذا ما استفدنا من هذه الآيات بمقتضى القواعد اللفظية و الشواهد الخارجية من الآيات و الأخبار؛ لكن الإهتداء إلى ما استفدناه من الأخبار بمكان من الغموض. و لنتعرّض ببعض الأخبار على التفصيل، و نشير إلى ما يتميّز به من القشر اللباب و الماء من السراب. **فنقول**:ـ بعون الله تعالى و مشيته ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

دخلت إلى مسجد الكوفة و أمير المؤمنين يكتب بإصبعه يتبسّم، فقلت: له يا أمير المؤمنين ما الذي يضحكك؟ فقال عليه السلام: عجبت لمن يقرأ هذه الآية و لم يعرفها حقّ معرفتها، فقلت له: أىّ آية يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكوة**﴾، المشكوة محمد صلى الله عليه و آله ﴿**فيها مصباح**﴾ أنا المصباح ﴿**في زجاجة**﴾ الزجاجة الحسن و الحسين ﴿**كأنّها كوكب درّي**﴾ هو عليّ بن الحسين ﴿**يوقد من شجرة مباركه**﴾ محمد بن علىّ عليه السلام ﴿**زيتونة**﴾ جعفر بن محمّد عليه السلام ﴿**لا شرقية**﴾ موسى بن جعفر عليه السلام و ﴿**لا غربية**﴾ علىّ بن موسى الرضا عليه السلام ﴿**يكاد زيتها يضىء**﴾ محمّد بن علىّ عليه السلام ﴿**و لو لم تمسسه نار**﴾ علىّ بن محمّد صلى الله عليه و آله ﴿**نور على نور**﴾ الحسن بن علىّ عليه السلام ﴿**يهدى الله لنوره من يشاء**﴾ القائم المهدى عليه السلام ﴿**و يضرب الله الأمثال للناس و الله بكلّ شىء عليم**﴾.[1]

و لا يخفى أنّ تعجّبه عليه السلام من عدم معرفة القارئ يدلّ على أنّ الآية الشريفة تدلّ على ما أراده الامام عليه السلام ولو على وجه الاجمال، و قد عرفت أنّ تشبيه مثل نور الله تعالى بالمشكوة نصّ فى أنّ الأصل فيما بعث نبينا صلى الله عليه و آله الذي هو نور الله تعالى قطعاً في الأرض إنّما هو الدعوة على نور آخر، و ذلك لا يمكن أن يكون نبيّاً لأنّه الخاتم، فهو الوصي، و الآيات

١. مكيال المكارم، ج١، ص٢٣٣؛ البرهان فى تفسير القرآن، ج٣، ص١٣٧ـ١٣٦.

الأخر معيّنة له كقوله تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾(المائده(٥) : ٣) ، و قوله تعالى : ﴿**إنّما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون**﴾ (المائده(٥) : ٥٥)و غيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى . و قوله تعالى : ﴿**يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليک من ربّک وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته**﴾(المائده(٥) : ٦٧)مفسّرة لكونه مثله كمثل المشكوة ، و على هذا فكون أمير المؤمنين عليه السلام هو المصباح أيضاً في غاية الوضوح .

فظهرأنّ تعجّبه عليه السلام عن عدم تفطّن الناس بمعنى الآية فى محله ، و لو فرض عدم وضوح إرادة محمد صلى الله عليه و آله من المشكوة و عليّ عليه السلام من المصباح ، فعنايته عزّ و جلّ بما ضرب له المثل واضحة . و إذا أراد الشخص أن يعرف المراد ، فلابدّله من أن يستكشفه بالتأمل في الآيات و الأخبار ، فيظهر له ما بيّناه .

و بعد ما اتّضح المقصود من المشكوة و المصباح ظهر ما ينطبق عليه الزجاجة و هما الحسنان عليهما السلام ، فإنّهما الحافظان للمصباح و من ورائهما يستضاء به ، و حيث أنّ المصباحيّة باعتبار كشف الظّلام و هو تحقّق في حق أمير المؤمنين عليه السلام فظهر به أمرأئمة الظلال في الجملة فهو مصباح ، و بقى هذا المعنى محفوظاً بالحسنين عليهما السلام ، و حيث انتهى الأمر إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام استولى الباطل ، و لم يبق من الحقّ أثر ظاهر ، فهو عليه السلام [فى] إضائته من قبيل إضائة النجم في الليل الأظلم .

و حيث أنّ الجميع نور واحد ، كما يظهر من الأخبار ، فلا بأس بأن يقال : الزجاجة كأنّها كوكب درّي ، فإنّهما شيء و احد يختلف بهما الحال . فهذا النورمشكوة تارة ، و مصباح أخرى ، و زجاجة تارة و كوكب أخرى ؛ بل في حال واحد له جميع هذه الشؤن . وعلى هذا فكون الزجاجة زجاجة زمانه غير زمان كونها كوكباً درّيا ، فالمعنى في المثل أنّک ترى المصباح في زجاجة ، و بعد ما كنت تراه كذلك إذ تراها صارت كوكباً درّياً ؛ و هذا المعنى في المشبّه به عبارة عن انتقال الامامة إلى السجاد عليه السلام ، فإنّ المصباحيّة زالت في زمانه بالمرّة ، كما قال عز من قائل : ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يريها**﴾(النور(٢٤) : ٤٠)لكنّه كان إماماً هادياً في الليل الّألیل كالنجم الثاقب المضيء و إن غابت شمس فلک الهداية ، فهو لعدم غيبته يضيء لا كالشمس ؛ بل كالكوكب ، فالكوكب على هذا في المثل ، عبارة عمّا يقابل الشمس و القمر كما في قوله تعالى : ﴿**فلمّآ جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربّى**﴾ ، ثم قال : ﴿**فلمّا رأى القمر بازغاًقال هذا ربّى... الشمس بازغة**﴾(الانعام(٦) : ٧٦ـ٧٨)و هذا منصرف إطلاقه ، و إلّا فهوأعمّ .

والحاصل، أنّ الكوكب فى الليل مثل للامام الحاضر الذي خذله الناس، و لم يبق له من السلطنة شيء كما في السجاد عليه السلام، و معنى المصباحيّة و إن كان محقّقا في كلّ كوكب من الكواكب إلّا أنّ المصباحيّة الأصليّة هي الّتي كانت في أمير المؤمنين عليه السلام، و بهذا المعنى سلبت عنه عليه السلام، و ما ثبتت له، فإنّ أئمة الضلال أزالوه عن مقامه، و انطمست الأنوار، و اندرست الآثار إلى أن انتهت النوبة إلى الباقر عليه السلام، فصار ما كان كوكباً لخموده بحيث يتوقّد لظهور آثار النبوّة و انتشار العلم منه، و لتجديده ما اندرس من الآثار، فهو عليه السلام كأنّه شجرة النبوّة، فكأنّها هذا أوان ثمرتها.

و على هذا يحتمل أن يكون لفظة «من» فى ﴿**من شجرة**﴾ تبيينيّة، فهو بيان للضمير المستتر في ﴿**يوقد**﴾ كما في الزّيارة: «السلام عليک من شهيد محتسب»،[1] و على الأوّل فكلمة «من» نشويّة، و المعنى أنّ هذا الذي يوقد ناش من شجرة النبوّة.

و على الثاني فالمعنى أنّ الذي يوقد شجرة مباركة، فإنّها اخضرّت في أوانها وأثمرت ما هو زيتونة، وتجدّد الدّين في زمانها و ظهرت الآثار و بقيت إلى زماننا هذا.

وأمّا الصادق عليه السلام فظهر استحقاقه للخلافة في زمانه، و انتشرت منه العلوم و مع ذلک غصب حقّه و أزيل عن مقامه، فيشبه الزيتونة من حيث أنّه ثمرة بارزة لشجر النبوّة، ممحّضة لأن يستضاء به، فما حلّ فيه من روح الإمامة من قبيل الزيت الحالّ في الزيتون، فهو ظهر ظهور الزيتونيّة على الشجرة لا ظهور المصباح في المشكوة إلى أن انتهى الأمر إلى الكاظم عليه السلام فصار ﴿**لا شرقية**﴾، و خفي الأمر في زمانه و اشتبه الأمر في أوانه حتى على الأصحاب، فافترقت الشيعة فرقاً إلى أن انتهى الأمر إلى الرضا عليه السلام، فهو ﴿**لا غربية**﴾، لظهور أمره بعض الظهور و إن لم يتمّ ذلك النّور.

و الجواد عليه السلام فهو وإن تهيّأت له الأمور و كاد في زمانه أن يظهر ذلك النّور إلّا أنّه بقي خامداً في زمانه و اندرست آثار النبوّة في أوانه. و في البحار:

> جيء بأبي جعفر عليه السلام إلى مسجد رسول الله من بعد موت أبيه وهو طفل، فجاء إلى المنبر ورقى منه درجة، ثم نطق، فقال عليه السلام: أنا محمد بن عليّ الرضا عليه السلام، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائركم و ظواهركم و ما أنتم صائرون إليه علماً منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين، و بعد فناء السموات و الأرضين، و

١. مصباح الزائر ص٢٣٥؛ المزار للشهيد الأوّل، ص١٤٥.

لولا تظاهر أهل الباطل و دولة أهل الضلال و وثوب أهل الشک، لقلت قولاً تعجّب منه الأولون و الآخرون.

ثم وضع يده الشريف على ما فيه و قال: يا محمّد اصمت كما صمت آبائک من قبل[1]

و في *الكافى*

أنّ أبا الحسن محمّد بن علىّ الجواد استأذن عليه قوم من أهل النواحي من الشيعه، فأذن لهم فدخلوا و سألوه و في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة، فأجاب عنه عليه السلام و له عشر سنين[2]

والذى يظهر من الآثار أنّه عليه السلام أشرف أمره على الظهور على أحد الوجهين المستفادين من هاتين الرواتين.

و أمّا الهادي عليه السلام فهو الذي ﴿**لم تمسسه نار**﴾، فلم يظهر منه شيء من الأسرار و لم يترتّبوا عليه الآثار.

و أمّا العسكري عليه السلام فهو آخر مراتب الظهور، و هو نور على نور، فإنّه عليه السلام إمام من إمام إلى أن انتهى الأمر إلى خاتم الوصيين صلى الله عليه و آله، و بعده يخفى هذا النور غاية الخفاء فلا يهتدى إليه إلّا من خصّه الله بهذه الكرامة، كالنّواب في الغيبة الصغرى و غيرهم فيها، و في الكبرى أو زمان ظهوره عليه السلام، فالمعنى أنّ هذا الامام مخصوص بكونه خليفة النبي صلى الله عليه و آله و أحدعشرة من الأئمة عليهم السلام فهو نور على نور إلى أحد عشر، بل اثنى عشر على تقدير دخول الصديقة الطاهرة ـ سلام الله عليها ـ في النور، كما يظهر في كثيرمن الأخبار.

و الإمام المنتظر ـ عجّل الله فرجه ـ و إن كان مخصوصاً بهذا المعنى إلّا أنّ العسكري عليه السلام اختص به في من ظهر منهم، فالمعنى أنّ هذا الامام له هذه الخاصية، و هو أنّه ﴿**نور على نور**﴾ من غير أن يكون عليه نور؛ فإنّ الخلافة الظاهرية انقطعت بعده.

و أمّا النبى صلى الله عليه و آله فهو نور عليه نور و سائر الأنوا نور على نور و عليه نور و العسكرى نور على نور من غير أنّ يكون عليه نور، ظاهر مع أنّ كونه نور على نور بمرتبة لا يشاركه غيره من الأنوار، أو أنّ المعنى أنّ محصّل ما ذكر أنّ نور الله نور على نور، و حيث أنّ هذا الكلام إنّما هو بعد الفراغ عن التفصيل، لأنّه تعرض للجملة بعد التفصيل، فهو دليل على أنّه خاتم الأنوار فى مرحلة الظاهر، فافهم.

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٨؛ مستدرک سفينة البحار، ج ٢، ص ٤٠٣.

٢. الكافى، ج ١، ص ٤٩٦؛ مدينة المعاجز، ج ٧، ص ٢٧٧؛ بحارالأنوار، ج ٥٠، ص ٩٣.

و أمّا الحجة عليه السلام فهو الذي لا يهتدى إليه إلّا من أراده الله تعالى ممّن له عناية به بخلاف غيره، فإنّ كلّ كان فى امام من عصره كسائر الناس؛ فقوله: ﴿**يهدى**﴾ صريح في أنّ هذا الأمر ليس باختيار الناس، بل إنّما هو من فعل الله تعالى.

هذا وجه ظاهر في المشبّه بعدأن ظهر انطباق «المشبه به» عليه على هذا التفصيل؛ فإنّ هذه الرواية دلّت على انطباق المثل على سائر الأئمة عليهم السلام كانطباق المشكوة و المصباح، فهو تفسير لا تأويل، غاية الأمر أنّه بالنسبة إلى غير المشكوة و المصباح ليس واضحاً يقضى من عدم التفطّن له العجب، فإنّ التعجب إنّما هو بالنسبة إلى ما هو الأصل و العمدة و هو كونه عليه السلام مصباحاً.

و لا يسع المقام توضيح الحال من كلّ فقرة بالنسبة إلى كلّ واحد من الأئمة عليهم السلام و عن *مدينة المعاجز* و غيرها:

﴿**نور السموات و الأرض**﴾ محمد صلى الله عليه وآله ﴿**مثل نوره كمشكوة**﴾ فاطمه عليها السلام ﴿**فيها مصباح**﴾ لحسن ﴿**المصباح فى زجاجة**﴾ الحسين ﴿**الزجاجة كانها كوكب**﴾ علىّ بن الحسين عليه السلام ﴿**درّى**﴾ محمّدبن علىّ ﴿**يوقد من شجرة مباركة**﴾ جعفر الصادق عليه السلام ﴿ **زيتونة**﴾ موسى الكاظم عليه السلام ﴿**لا شرقية و لا غربية**﴾ علىّ بن موسى عليه السلام ﴿**يكاد زيتها يضىء**﴾ محمّد التقى عليه السلام ﴿**ولو لم تمسسه نار**﴾ علىّ النقى عليه السلام ﴿**نور على نور**﴾ الحسن العسكرى عليه السلام ﴿**يهدى الله لنوره من يشاء**﴾ الحجة المهدى ـ عجّل الله فرجه ـ[1]

و في هذه الرواية خلط كما في كثير من الروايات، و في بعض الروايات إعراض عن البيان و اعطاء للمعنى بحسب حال الراوى، و فى بعض آخر معنى لا ينافى للمعنى الأول، مرتّب عليه، انطباق المثل عليه بحسب الرتبة بمعنى أنّه أبعد ولكنّه مراد أيضاً. و لضيق المجال أعرضت عن التعرّض للروايات على التفصيل.

و ما نحن بصدده لا يتوقّف على أزيد ممّا بيّنا، فإنّه اتّضح أنّ المشكوة و المصباح و الزجاجة لا يحتمل فى المشبّه غير النبى و الأئمة عليهم السلام، و لا ينطبق انطباق أوليّا إلّا عليهم.

و غير هذا، ليس معنى للفظ، ولو كان مرادا فعلى وجه التأويل لا التفسير؛ بل الذى تلقّوه عن الأئمة عليهم السلام معنى مجمل ثمّ فسّروا باجتهادهم، ففى مجمع البحرين:

قوله تعالى: ﴿**مثل نوره كمشكوة**﴾ ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّه نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله فكأنّه

١. لم أعثر على هذه الروايةفى المصادر الروائية. والمصدر الذى ذكره المؤلّف فى المتن أى مدينة المعاجز لم تذكر هذه الرواية فيه.

تعالى قال : مثل محمدﷺ وهو المشكوة و«المصباح»قلبه و«الزجاجة»صدره ، و شبّهه بالكوكب الدرّي ، ثمّ رجع إلى قلبه المشبّه بالمصباح ، فقال : يوقد هذا المصباح من شجرة مباركة يعني إبراهيمعليه السلام ؛ لأنّ أكثر الأنبياء من صلبه ، أو شجرة الوصى ﴿**لا شرقية و لا غربية**﴾أي لا نصرانيّة و لا يهوديّة ؛ لأنّ النصارى يصلّون إلى المشرق و اليهود إلى المغرب ، يكاد أعلام النبوّة تشهد له قبل أن يدعوا اليها .[1]

فأخذ معنى مجملاً من المفسّرين و هو أنّ النور محمّدﷺ ،

ثمّ شرع في التفسير برأيه و أخذ بعض المفردات من بعض الروايات مع أنّ الذى زعمه لا يرجع إلى محصّل ، و ليس من بعضها في الأخبار عين و لا أثر ؛ مع أنّ النور إذا كان محمّداﷺ فلابدّأن يكون له مثل يشبه المشكوة المشتملة على المصباح . فالمعنى أنّ الجهة الظاهرة المقوّمة لكونه نوراً أنّ له قلباً في صدره ، و الأوّل يشبه المصباح و الثاني يشبه الزجاجة ، و هو من نسل ابراهيمعليه السلام كأكثر ا لأنبياء .

و مثل هذا الكلام لا يليق بأرذل المخلوقات ، فكيف يكون آية للنبوّة؟ ! و شهادة أعلام النبوّة قبل الدعوة لا شباهة له باستضاء الزيت عن النار ، و كون أكثر الأنبياء من صلب ابراهيمعليه السلام أمر معلوم إلّا أنّه لا يناسب كون الوقود منه ، و إنّما هومصحّح لكون ابراهيم زيتونة أي شجرة زيتون ، و كأنّه اتّبع في التفسير أعداء أهل البيتعليهم السلام وأعرض عن أخبارهم . و في تفسير النيسابورى عن مقاتل :

أنّه قال : أى مثل نور الايمان في قلب محمدﷺ كمشكوة فيها مصباح ، فالمشكوة نظير صلب عبد اللهعليه السلام و الزجاجة نظير جسد محمدﷺ والشجرة النبوّة و الرسالة .[2]

فهو علم أنّ النور عبارة عن محمدﷺ ولم يعرف كيف تنطبق الآية عليه ، فالنور ليس عبارة عن الايمان فى قلبه ؛ بل هو النور ، فإنّ الايمان لا يشبه مثله مثل المشكوة ، سيّما إذا كان المشكوة صلب عبد اللهعليه السلام ، فالمعنى أنّ ايمان محمّدﷺ يشبه صلب عبد اللهعليه السلام الذى فيه نور محمدﷺ الذي في جسده ، و جسده يوقد من النبوّة ؛ فإنّ المشبّه على كلامه هو إيمان محمدﷺ و صلب عبد اللهعليه السلام وجسد محمدﷺ و الرسالة ، فالأوّل هوالنورو الثاني المشكوة ، و الثالث الزجاجة و الرابع الشجرة .

---

١ . مجمع البحرين ، ج٣ ، ص٥٠٤ .

٢ . غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ج٥ ، ص١٩٨ .

ثمّ قال :

و قيل : المشكوة نظير ابراهيم عليه السلام ، و الزجاجة نظير اسماعيل ، و المصباح نظير جسد محمد صلى الله عليه و آله .[1]

ثمّ قال :

و قيل : ﴿**المشكوة**﴾ صدر محمد صلى الله عليه و آله و ﴿**الزجاجة**﴾ قلبه و ﴿**المصباح**﴾ ما في قلبه من الدين ، و ﴿**الشجرة**﴾ ابراهيم عليه السلام ، و ﴿ **يوقد من شجرة**﴾ كقوله تعالى : ﴿**واتّبعوا ملّة ابراهيم**﴾ (آل عمران(٣) : ٩٥) و معنى ﴿ **لا شرقية و لا غربية**﴾ أنّ ابراهيم عليه السلام لم يكن يصلّى قبل المشرق كالنّصارى ولا قبل المغرب كاليهود ، بل كان يصلّي قبل الكعبة ، و هي ما بين المشرق و المغرب ، و معنى ﴿ **يكاد زيتها يضىء**﴾ أنّ نور محمّد صلى الله عليه و آله يكاد يتبيّن للناس قبل أن يتكلّم بالحكمة قبل الوحي .[2]

و أمّا القول الثانى فكسابقة من الخرافات ، و أمّا الثالث فهو ليس كسابقيه إلّا أنّه أيضاً لا محصّل له ؛ فإنّ النور على هذا هو محمّد صلى الله عليه و آله و من تشبيه صدره بالمشكوة و قلبه بالزجاجة و ما فيه من الدين بالمصباح لا يحصل إلّا أنّه نبي ، و هذا المعنى اتّضح من التعبير عنه بالنور بمراتب أزيد من هذا الظهور ؛ بل هذا تطويل ممّل ، بل اطناب مخلّ

و أمّا إتباع ملّة إبراهيم فلاربط له بالوقود منه ، بل الوقود ابراهيم عليه السلام من نبيّنا صلى الله عليه و آله ، و التعبير عن كونه صلى الله عليه و آله مصلّياً إلى الكعبة بهذا الكلام الطويل البعيد عن الأذهان لا ثمرة له و لاحكمة فيه ، و قرب حال الزيت من الاستغناء عن النار في الإضائة لا مناسبة بينه و بين ظهور نور محمّد صلى الله عليه و آله قبل أن يتكلّم ، فإنّ التكلّم بالحكمة بالنسبة إلى نوره ليس كالنار بالنسبة إلى الزيت .

و في *تفسير الرازى* فى كيفيّة التمثيل و أنّ المشبّه أيّ شىء هو ذكر وجوهاً أذكرها على وجه الايجاز :

أوّلها : قول جمهور المتكلّمين وهو أنّ المراد ، الهدى الّتي هي الآيات البيّنات .[3]

و ثانيها : أنّه القرآن ،[4]

و الوجهان لا يخفى قبحهما و عدم صلوحهما لا نطباق الآية عليهما ، فإنّ النّور المذكور

---

١ . غرائب القرآن ورغائب الفرقان .

٢ . نفس المصدر .

٣ . التفسير الكبير ، ج٢٣ ، ص٢٣٧ـ٢٣١ .

٤ . نفس المصدر ، ص٢٢٧ .

في الآية هو الله تعالى لا نوره، والذي استفدناه من تخصيص الأرض بالإفراد و هو أنّ المباشر للهداية في الأرض غيره تعالى لا ربط له به، والهدى هو المحمول على الله تعالى؛ فإنّ النور المحمول عليه بهذا المعنى أو الهادي، و لا معنى لاضافته إليه في هذا الكلام فإنّه هو، و لو سلّم أنّه الله صحيح فالمثل على هذا «الله» تعالى، فلابدّ أن يكون فيه جهات شتّى تنطبق عليها فقرات الآية المثل تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيرا.

و أمّا الآيات فهي وإن صحّ حمل النور عليها، فإنّ للهداية أسباب مرتّبة وآلات كثيرة و وسائط شتّى و الجميع أنوار إلّا أنّه عليه تعالى حمّل في الآية، فهو النور المذكور، لا الآيات؛ فلوكان المثل للآيات لم يرتبط بما قبله مع أنّ الخصوصيات المعتبرة في المثل لا تنطبق على الآيات بوجه من الوجوه.

وأمّا القرآن، فإنّه أيضاً نور إلّا أنّه أيضاً غير مذكور، مع أنّ قوله تعالى: ﴿**نور**﴾ باشتماله على الإضافة يقرب عن العهد، و الخصوصيات لا تنطبق على القرآن. قال الرازى:

> و **ثالثها**: أنّه الرسول؛ لأنّه المرشد و لأنّه تعالى فى وصفه ﴿**و سراجاً منيراً**﴾ وهو قول عطا و هذا هو الوجه الصحيح[1]

ثمّ قال:

> **و رابعها**: أنّ المراد منه ما في قلب المؤمن من معرفة الله تعالى و معرفة الشرايع، و يدلّ عليه أنّ الله تعالى وصف الايمان بأنّه نور و الكفر بأنّه ظلمة، فقال: ﴿**أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه**﴾ (الزمر(٣٩): ٢٢) و قال تعالى: ﴿ **لتخرج الناس من الظلمات الى النور**﴾ (ابراهيم(١٤): ١) فهو قول أبيّ بن كعب و ابن عباس، قالأبى: مثل نور المؤمن و هكذا كان يقرأ، و قيل: إنّه كان يقرأ: «مثل نور من آمن به»، و قال ابن عباس: «مثل نوره فى قلب المؤمن»[2]

و هذا كذب محض و غلط صرف، فإنّ أبيّ و ابن عباس منزّهان عن مثل هذا الغلط، و إنّما مذهبهما أنّ المراد به من يهدي المؤمنين من النبيﷺ و خلفائه المعصومين؛ فإنّ خليفة الله تعالى نوره و نور المؤمنين، فإنّ رجوع الضمير إلى الله تعالى فى الآية واضح. و مع ذلك فكون المثل لنور المؤمن باعتبار تصادق العنوانين، و حيث أنّ الرازي أعمى لا يبصر هذا النورحمله برأيه الفاسد و ظنّه الخبيث على ما ذكره، و لم يتصوّر أنّه لا ينطبق عليه

---

١. نفس المصدر.

٢. التفسيرالكبير، ج٢٣، ص٢٣٧ـ٢٣١.

المثل، بل الكلام لا ينتظم وهو على ما يراه غلط في غلط، لا يرتبط بعضه ببعض و لا يرجع إلى محصّل. تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً. و جواز اطلاق النور على الايمان لا يحتاج إلى البيان؛ ولكنّه لا ينفع في المقام.

ثمّ نقل عن الشيخ الرئيس وجهاً سادساً،[1] لا دخل له بالتفسير؛ و عن بعض الصوفية وجهاً سابعاً[2] ثم قال:

> **و ثامنها**: قال مقاتل: «مثل نوره، أى مثل نور الايمان في قلب محمد ﷺ كمشكوة فيها مصباح، فالمشكوة نظير صلب عبدالله عليه السلام، والزجاجة نظير جسد محمد ﷺ والمصباح نظير الايمان في قلب محمد ﷺ أو نظير النبوّة في قلبه».[3]

و هذا أيضاً خلط و غلط؛ فإنّ مقاتل سمع أنّ النور محمّد ﷺ وباجتهاده الفاسد حمله على ما في قلبه من الايمان، و لم يتعقّل أنّه إذا كان النّور عبارة عن ايمان النبي ﷺ، فلا ربط له بالمشكوة؛ فكيف يكون مَثَله مَثَلِ المشكوة؟ مع أنّ صلب عبد الله عليه السلام لا وجه لكونه مشكوة ايمان النبي ﷺ.

و إذا كان النور هو المشبّه و التشبيه بين المشكوة و صلب عبد الله عليه السلام، فلا معنى لقوله تعالى: ﴿**مثل نوره كمشكوة**﴾، و حينئذ فكون المصباح عبارة عن الايمان لا معنى له بعدأن كان هو المشبّه.

ثمّ قال:

> **و تاسعها**: قال قوم: المشكوة نظير ابراهيم عليه السلام و الزجاجة نظير اسماعيل عليه السلام، و المصباح نظير جسد محمد ﷺ و الشجرة النبوّة و الرسالة[4]

و فيه: أنّ النّور على هذا هو ابراهيم عليه السلام و المعنى أنّ ابراهيم الذي هو نور الله تعالى، قوام نوريّته و نبوّته كونه حاملاً لمحمّد ﷺ، حيث أنّه من ذريّته؛ و من المعلوم أنّ النور نبيّنا ﷺ خاصّة أو يعمّه؛ و تخصيص ابراهيم عليه السلام به لا وجه له. و كون نبيّنا ﷺ من ذريّته لا دخل له بنبوّته و كونه هادياً. و تشبيه إسماعيل عليه السلام بالزّجاجة من حيث كون نبينا ﷺ في صلبه لا وجه له؛ بل إنّما هو من هذه الجهة كغيره من آبائه، فصلب عبدالله أقرب إلى هذا المعنى

١. نفس المصدر.
٢. نفس المصدر، ص٢٢٩.
٣. نفس المصدر.
٤. نفس المصدر.

على تقدير صحّته و لا معنى لسائر الخصوصيات، و لا وجه على هذا لهذا الاجمال و التطويل. ثمّ قال:

و **عاشرها**: أنّ قوله تعالى: ﴿**مثل نوره**﴾ يرجع إلى المؤمنين، و هو قول أبى بن كعب و كان يقرئها: مثل نور المؤمن وهو قول سعيد بن جبير و الضحاك [1]

ثمّ قال:

وقال كعب الأحبار: المراد من الزيت نور محمد ﷺ أى يكاد نوره، يتبيّن للناس قبل أن يتكلّم، و قال الضحاك: يكاد محمدﷺ يتكلّم بالحكمة قبل الوحى [2]

أمّا ما حكاه أولاً، فهو ما ذكره في الوجه الرابع، وقد عرفت حاله: و أمّا ما عن كعب في تفسير ﴿**يكاد زيتها يضىء**﴾ و ما عن الضحاك، فقد عرفت أنّهما لا يلائمان المعنى الحقيقى. هذا بعض ما قيل في تفسير هذه الآية، و يظهر حال سائر الأقوال من التأمّل في حال ما ذكر هاهنا. فظهرأنّ المشبه هو نبيّنا ﷺ

وأمّا كون المشكوة فاطمهعليها السلامكما يظهر من كثير من الأخبار فهوأيضاً وجه آخر للآية، فالنور حينئذ خصّ به الزهراء ـ سلام الله عليها ـ و الأئمّة من ولدها، فالجميع واحد والتعدّد في الجهة، و يظهر الانطباق بالتأمل فيما مرّ. و بعض أخبارنا على طريقة مخالفيهم لضعف الراوي، وفي بعض آخر خلط من الرواة، وهي كثيرة جداً لا يسعني التعرّض لها، فعلى كلّ حال فلا إشكال في إرادة النبيﷺ و الأئمة عليهم السلام خاصّة من الآية.

و﴿**فى البيوت**﴾ خبر عن النور على ما بيّنا كما أنّ﴿**رجال**﴾ خبر آخر عن النور، وإليه ينظر ما عن *تفسير علىّ ابن ابراهيم*، قال:

حدّثني أبي عن عبد الله بن جندب، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله، عن تفسير هذه الآية يعني قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات و الارض**﴾ و ذكر ما كتب إليه، ثمّ قال عليه السلام بعد ذكرها في تفسيرها: مَثَلنا في كتاب الله كمثل المشكوة، و المشكوة في القنديل، فنحن المشكوة[3]

والدليل على أنّ هذا مَثَل لهم قوله تعالى: ﴿**فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**بغير حساب**﴾ و قد مرّ منّا يوضح

١. التفسير الكبير، ج٢٣، ص٢٣٩.
٢. نفس المصدر، ص٢٣١ـ٢٣٢.
٣. تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٦٠٦ـ٦٠٧.

كونه دليلاً على أنّه مَثَل لهم .

ولا يخفى أنّ جعل المشكوة عبارة عنهم عليهم السلام لا ينافي ما فسّرنا به الآية ، و دلّت عليه بعض الروايات ؛ فإنّ الآية لها معان كثيرة ، و الأقرب من الجميع هو الذي ذكرنا . و كلّما لم يبعد من اللفظ فيشاركه في كونه تفسيراً و ما بَعُد عنه فهو تأويل . والجميع معان للكلام من غير أن يستعمل لفظ فى معنى .

و قد اشتهر في تفاسير أهل السنة ، [1] حكاية القول بأنّ المراد بها المساجد الّتي بناها نبيّ من أنبياء الله تعالى ، وهي أربع مساجد : الكعبة الّتي بناها ابراهيم عليه السلام و اسماعيل ، و بيت المقدس الذي بناه داود عليه السلام و سليمان ، و مسجد المدينة و مسجد قبا الذي أسّس على التقوى ، بناهما رسول الله صلى الله عليه وآله . والموجب لهذا التوهّم الجمع بين ما يدلّ على ارادة المساجد منها و ما دلّ على ارادة بيوت الأنبياء عليهم السلام و الرسل و الحكماء .

و من المعلوم أنّ اعتبار هذه الخصوصية على ما يرون لا محصّل له ؛ فإنّ كون المشكوة في هذه المواضع بالخصوص أو عبادة الرجال فيها لا يتعلّق باعتباره غرض . و ما دلّ من الروايات [2] علىّ أنّها بيوت الأنبياء و الرسل و الحكماء و الأئمّة الهدى أو خصوص بيوت النبي صلى الله عليه وآله و كون بيت عليّ و فاطمة منها و من أفاضلها ، أو خصوص بيوت محمد صلى الله عليه وآله ، ثمّ بيوت عليّ عليه السلام أو بيوت آل محمّد صلى الله عليه وآله ، إنّما يدلّ على أنّ البيوت لابدّ أن ينطبق عليها هذا العنوان و هو التمحّض في الانتساب إلى خلفائه .

و لا ينافي كون المراد خصوص مشاهد النبي صلى الله عليه وآله و الأئمه عليهم السلام ، فإنّ الوصف ليس عنواناً ، وإنّما المقصود إتّصاف هذه البيوت بهذه الصفة لاخراج الأمكنة الفاقدة لها ، و كونها بيت عليّ عليه السلام و فاطمة عليها السلام منها لا يدلّ إلّا على كفاية الانتساب إليهما في المقام من غير أن يكون الحكم عاماً لمسكنهما حال الحياة . عن ابن عباس أنّه قال :

> كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قرأ القاري : ﴿**فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو و الآصال**﴾ ، فقلت : يا رسول الله ما البيوت؟ فقال عليه السلام : بيوت الأنبياء و أومأ بيده إلى بيت فاطمة الزهراء ابنته [3]

---

١ . الدر المنثور ، ج٦، ص٢٠٣ ؛ البحر المحيط ، ج٦، ص٤٢١ .

٢ . نفس المصدر .

٣ . مجمع البيان ، ج٧، ص٢٧١ ؛ شواهد التنزيل ، ج١ ، ص٤٠٩ ؛ بحارالأنوار ، ج٢٣ ، ص٣٢٦ .

فهذه الرواية تدلّ على أنّ البيوت المنتسبة إلى الأنبياء خصوص ما ا نتسب إليها، فإنّ الحكم لها و لأبيها و بعلها و بنيها، فإنّ مشاهدهم تختصّ بهذا الحكم.

و إرادة الأئمّة عليهم السلام من البيوت كما يظهر من بعض الروايات وجه آخر للآية لا ينافي ما استفدناه كما في قوله تعالى: ﴿**إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً**﴾، فإنّه مأوّل إليهم عليهم السلام

و من الغرائب أنّ المفسرين يتفوهّون بما لا يتعقّلون؛ فإنّهم مطبقون في هذه الآية على هذه الطريقة، حيث أنّ ما يقولون فيها لا يمكن أن يكون له محصّل، و أعجب من ذلك سلوك أصحابنا أيضاً مسلكهم كما رأيت من الطريحي ـ رحمه الله ـ و نحن نتعرّض لما في مجمع *البيان* ليكون أنموذجاً لغيره، ففيه:

المعنى ﴿**الله نور السموات و الأرض**﴾، اختلف فى معناه على وجوه:

إحداهما: الله هادي السموات و الأرض إلى ما فيه مصالحهم، عن ابن عباس.

و الثاني: الله منوّر السموات و الأرض بالشمس و القمر و النجوم، عن الحسن و أبي عاليه و الضحاك.

و الثالث: مزيّن السماوات بالملائكة و مزيّن الأرض بالأنبياء و العلماء، عن أبيّ بن كعب و إنّما ورد النور في صفة الله تعالى؛ لأنّ كلّ نفع و احسان و إنعام منه. و هذا كما يقال: فلان رحمة و فلان عذاب، إذا أكثر فعل ذلك منه، و على هذا قول الشاعر:

ألم تر إنّا نار قوم و إنّما ... يبين في الظلماء و للناس نورها

و إنّما المعنى أنّا نسعى فيما ينفعهم ومنّا خيرهم، و كذا قول أبي طالب عليه السلام في مدح النبي صلى الله عليه و آله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلّاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة و فواضل

لم يعن بقوله: «أبيض» بياض لونه، و إنّما أراد كثرة إفضاله واحسانه و نفعه و الاهتداء به و لهذا المعنى سمّاه الله تعالى ﴿**سراجاً منيراً**﴾[1]

أمّا الوجه الأوّل المحكي عن ابن عباس، فهو الحق الذي لا ريب فيه، لانطباقه على الموازين و شهادة كلمات أهل العصمة عليهم السلام به.

و أمّا ما عن الضحّاك و عديليه فغلط واضح؛ فإنّ النور بمعناه الحقيقى الثابت للشمس

١. مجمع البيان، ج٧، ص٢٦٧.

و القمر لا يصحّ حمله على الله تعالى؛ و كونه مخلوقاً له تعالى لا يصحّح حمله عليه، و إلّا لجازحمل كلّ من المخلوقات عليه حملاً ذاتياً؛ تعالى الله عمّا يقوله الظالمون علواً كبيراً. مع أنّ هذا إنّما هو في الأرض لا في السماء، بل الهواءأيضاً لا يتأثّر به إلّا مقداراً يصل إليه أثر الانعكاس من الأرض؛ فهو غلط في غلط جلّ الباري تعالى عنه و لا يليق مثله إلّا بقائله.

وأمّا الثالث؛ فيقرب من الثاني في كونه من الخرافات؛ فإنّ الزينة ليست من أظهر خواص النّور ليصح التجوّز باعتبارها، و إنّما خاصيّة النور البروز و الظهور و كشف الحجاب و رفع الظلمة، فليست الزينة من حيث هي هي علاقة مصحّحة لاطلاق النور.

و ما حكاه عن أبيّ ليس بهذا الاعتبار؛ بل من حيث أنّ الأنبياء و العلماء هداة إلى الحقّ و يخرجون الناس من الظلمات إلى النور، و بهذا الاعتبار تتزيّن الأرض بهم، لأنّ كلّماتتزيّن به الأرض فهو نوره، فهذا المعنى اجتهاد فاسد في كلام أبيّ، كما اتفق من غيره في كلامه الآخر.

وأمّا ما زعمه من جواز كونه بمعنى الفاعل كالهادي و المنوّر و المزيّن، فغلط معروف، حيث أنّه لا علاقة بين المصدر و اسم الفاعل أو المفعول؛ نَعَم قد يساوق الحديث للمفعول أو الفاعل فى مورد خاصّ كما في الخلق و المخلوق، حيث أنّ الايجاد عين الوجود و الاختلاف إنّما هو بالاعتبار و ما به يظهر الحقّ هو الهادي، كما أنّ معدن الطهارة هو الطاهر المطهّر لا أنّ فعول اسم آلة، و لا هو بمعنى الطاهر المطهّر؛ بل بمعنى معدن الحدث، كالوقور و الصبور بمعنى معدن الوقار و الصبر، و غفلتهم عن هذا المعنى أوقعهم في كثير من المقامات في الأغلاط.

و أمّا ما أطنب به فلا ربط له بالمقام؛ فإنّ النور في قول الشاعر بمعنى الهادي كقوله«يبيّن في الظلماء، وأبيض لا ربط له بالنور. ثمّ قال:

﴿**مثل نوره**﴾ فيه وجوه: **أحدها**: أنّ المعنى مَثَل نور الله الذي هدى به المؤمنين وهو الايمان في قلوبهم، عن أبيّ ابن كعب و الضحاك، و كان أبيّ يقرأ«مثل نور من آمن به». و الثاني مَثَل نوره الذي هو القرآن في القلب، عن ابن عباس و الحسن و زيد بن أسلم[1]

أمّا الأوّل فهو افتراء على أبيّ بن كعب باجتهاد النقلة، و قد بيّناه [سابقا فساده]و

۱. مجمع البيان، ج۷، ص۲۶۷.

قوله : «نور الله الذي هدى به المؤمنين» تحقيق جديد و اجتهاد مزيد ؛ فإنّ الايمان عين الاهتداء إلّا ما يهتدي به ، و قرائة أبيّ كثيراً ما كان مع التفسير ، لا أنّ الآية عنده و في مصحفه على هذه الكيفية . فلابّد أن يكون هذا معنى ﴿**مثل نوره**﴾ مع وضوح رجوع الضمير إلى الله تعالى . فنوره الذي ضرب له المثل ، له عنوانان :

أحدهما : نور الله ،

و الآخر : نور المؤمنين .

و من المعلوم أنّ خليفة الله في الأرض هكذا فإنّه نور المؤمنين و نور من آمن به ، و قد خفي هذا المعنى على النقلة فرموه بما ترى ، مع أنّ النبيﷺ كان يؤمر من قبل الله تعالى بأن يقرأ عليه بعض الآيات و يخصّه بالإعلام بها .

و أمّا الوجه الثاني ، فنسبته إلى ابن عباس فاسدة ؛ و هو خطاء ، بل الذي صحّ نقله عنه ما حكاه الرازي .[1] فإنّه نسب إليه ما ذهب إليه أبيّ بن كعب ، و لا يبعد أن يكون نسبته إلى غيره أيضاً خطاء ، وقد بيّنا سابقاً فساد هذا الوجه فى نفسه . ثمّ قال :

و الثالث : أنّه عنى بالنور محمّدﷺ و أضافه إلى نفسه تشريفاً له عن كعب و سعيد ابن جبير ، فالمعنى مَثَل محمّد رسول اللهﷺ[2]

و قد عرفت أنّ هذا هو الوجه الصحيح ؛ بل الأوّلان لا معنى لهما إلّا أن يرجعا إليه ، بل لا ريب فى رجوع الأوّل إليه . ثمّ قال :

و الرابع : أنّ نوره سبحانه و تعالى الدالّة على توحيده و عدالته الّتي هى في الظهور و الوضوح مثل النور ، عن أبي مسلم ؛ **و الخامس** : النّور هنا الطاعةٌ أي مثل طاعة الله تعالى في قلب المؤمن ، عن ابن عباس في رواية أخرى .[3]

و فساد المعنيين غنّي عن البيان ، و انظر إلى ما عن ابن عباس كيف اختلف باختلاف الأفهام ، فنور المؤمن و من آمن بالله الذي هو نور الله ، أي الخليفة تارة صار إيماناً و أخرى قرآناً في قلبه و مرّةأخرى طاعة في قلبه ، ثم قال :

ثمّ قال [طبرسى] : ﴿**كمشكوة فيها مصباح**﴾ ، المشكوة هي الكوّة في الحائط يوضع عليها زجاجة ، ثمّ يكون المصباح خلف تلك الزجاجة ، و يكون للكوّة باب آخر يوضع

---

١ . التفسير الكبير ، ج٢٣ ، ص٢٢٧ .

٢ . نفس المصدر ، ص٢٦٨ .

٣ . نفس المصدر .

المصباح فيه، و قيل: المشكوة عمود القنديل الذى فيه الفتيلة، وهو مثل الكوّة، و المصباح السراج، وقيل: المشكوة القنديل و المصباح الفتيلة، عن مجاهد.[1]

و فيه أنّ هذا نسبح غريب و معنى عجيب، لا عين منه اللغة و لا أثر له في الأخبار، فهو جمع بين ما سمعه من معاني المفردات و بين ما رآه من الخصوصيات في الآية، فجعل له تفسيراً برأيه، ولم يتفطّن أنّه لا يناسب المقام، و لا يليق بكلام الملك العلّام؛ فإنّ وضع الزجاجة على الكُوّة و اشتمالها على باب آخر يوضع المصباح منه وراء الزجاجة ليس مأخوذاً في مفهوم المشكوة، و لا مستفاداً من الآية، فإنّ المشكوة عبارة عمّا أعدّ لوضع المصباح فيه، و الكوّة الغير النافذة كثيراً ما كانت تعدّ لهذا المعنى؛ فما كان متعارفاً عند العرب من أخذ كوّة غير نافذة في الحائط لوضع المصباح فيه مصداق من مصاديق المشكوة، كما أنّ القنديل مصداق آخر له. و أمّا ما تخيّله فهو وضع جديد لاربط له بمعنى المشكوة.

وأمّا كون المصباح في الزجاجة فى الآية فليس بهذا المعنى، بل الزجاجة إمّا عين المشكوة كما يستفاد من بعض الأخبار، و إمّا غيرها و لكنّها وعاءً للمصباح، و المشكوة وعاءً لهما.

و من الغريب أنّه اختار الكوّة للآية من بين المصاديق مع أنّ غيرها بمرأى منه و سمع ومسمع و يرى أنّ الناس اختاروا غيرها. و قد عرفت أنّ الكُوّة من حيث هى ليس لها مثل يشبه مثل نور الله تعالى. ثمّ قال:

﴿**المصباح في زجاجة**﴾أي ذلك السراج في زجاجة، و فائدة اختصاص الزجاجة بالذكرأنّه أصفى الجواهر، فالمصباح فيه أضوأ[2]

و فيه: أنّ للدلالة على شدّة الضوء أسبابا قوية و عناوين واضحة، و لا يبلغ كون السراج في الزجاجة في تأثيره في شدّة الاضائة درجة الأدنى في تلك الأسباب؛ مع أنّه لا يستلزم ذلك خصوصاً على ما فرضه من وضع المصباح في الكوّة. و ليت شعري من أين اعتبر كون الكوّة مشتملة على باب غير محلّ وضع الزجاجة مع أنّ عدم النفوذ أمر اعتبروه في الكوّة الّتي هي مشكوة. و الحاصل، أنّما يوضع في الكوّة بهذه الكيفية أضعف شيء في مرحلة الإضائة.

و قد عرفت أنّ هذه الخصوصيات ملغاة في«المشبّه به»وأنّه مجرّد فرض، فلا ينافي كون المشكوة أعظم من فلك الأفلاك، و المصباح ما هوأعظم بمراتب منه، وأشدّ ضوءاً من

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

الشمس بما لا يتناهى، فإنّ المناط في المصباحيّة كشف الظلام، و السراج المتعارف و ما يناسبه من المشكوة، ليس أصلاً في معنى الكلمة؛ بل إنّما هو مصداق اتفق كونه كذلك، و لهذا أطلق المصابيح على النجوم في القرآن، بل الشمس هو الأظهر في المصباحية؛ فإنّ الصبح إنّما هو ضوء الشمس، فهوأوّل ظهوره مصباح.

و الحاصل، أنّ المقصود أخذ مثل من المشكوة المشتملة على المصباح لتشبه مثل نور الله به، و أنّ الأليق من جميع الجهات بخليفة الله تعالى في الأرض هذه الجهة، و أين الكوّة و ما يوضع فيها من السراج عن هذا المقام، فالمشبّه به و إن كان مشكوة مشتملة على مصباح إلّا أنّه لا يجب أن يكون واقعاً فى الخارج أو ممكناً، بل يمكن اعتبار عدم كونه ممّا في هذا العالم كما في الشجرة، حيث اعتبر عدم كونها شرقية و غربية.

فظهر أنّ فائدة اعتبار كون المصباح في الزجاجة التنبيه على اشتمال النور على هذه الخصوصية، و هوأنّ لعليّ عليه السلام من الحفظ ما ظهر منه من النور الكاشف للظلام.

و بالجملةلما اقتضت الحكمة ابانة النور من حيث يخفى على أعداء الله و أعداء الدين، فجمع الله سبحانه و تعالى بين الأمرين من الكتمان و الإنابة على أتّم وجه يتصوّر، فاعتبر في المثل خصوصيات لا تنطبق على غيرهم عليهم السلام، و لا يمكن التطبيق إلّا بعد الاطلاع على هذه الخصوصيات و تنبيه عالم به؛ فهو قبل البيان لا يمكن الاطّلاع عليه، و بعده يعلم كلّ أحد بأنّه الحقّ؛ و أنّ المراد ليس غيرهم، فالفائدة في كلّ ما يعتبر في المثل «المشبّه به» ليست إلّا تحقّق ما يشبهه في المشبه، و هذا هو المقصود لا ما توهّموه. ثمّ قال[طبرسى]:

﴿**الزجاجة كأنّها كوكب درّي**﴾ أي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبّه الدّر في صفائه و نوره و نقائه، و إذا جعلته من الدرء و هو الدفع، فمعناه المندفع السريع الدفع في الانقضاض، و يكون ذلك أقوى لضوئه.

و فيه: أنّ النسبة إمّا إلى المعنى الأصلي الموجود في قولهم: للّه درّه، و درّ اللبن، فالحاصل العظمة و التعيين، و على تقدير كون الكوكب النجم، فيفيد الإضائة و إلّا فالتعيين و العظمة و كثرة النفع خاصّة على ما بيّناه سابقاً، و إن كانت النسبة إلى المعنى الاسمي الذي حصل للجواهر بالغلبة؛ فلا يفيدإلّا الشباهة بها في العزّة و البهاء، فالجمع بين العظمة و خاصية الدر في هذه النسبة خطاء واضح، والمعنى الآخر فساده في الوضوح بمكان أغنى عن

البيان . ثمّ قال[طبرسی] :

﴿**يوقد من شجرة مباركة**﴾أي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة[1]

و فيه : أنّ الاشتعال من النار لا من الدهن ، و إنّما يستمدّ السراج من الدهن ، فهو مادة له إلّا أنّه موجب للاشتعال ، وقد تبع في هذا التوهّم أكثر المفسّرين ، و هو واضح الفساد . ثمّ قال :

﴿**زيتونة**﴾ أراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون ؛ لأنّ فيها أنواع المنافع ، فإنّ الزيت يسرج به و هو إدام و دهان و دباغ ، و يوقد بحطبه و ثفله و يغسل برماده الأبريسم ، و لا يحتاج في استخراج دهنه إلى إعصاره . و قيل : إنّه تعالى خصّ الزيتون ؛ لأنّ دهنها أصفى و أضوء . و قيل : لأنّها أوّل شجرة نبتت في الدنيا في الطوفان ، و منبتها منزل الأنبياء . و قيل : لأنّه بارك فيها سبعون نبياً منهم ابراهيم عليه السلام ، فلذا سمّيت مباركة

و فيه أنّ كثيراً من الأشجار أكثر نفعاً منها كما لا يخفى ، فلا اختصاص لها . و صفاء الدهن لا ربط بالمقام و الإضائة بالنار لا تدور مدار الصفا ، فهل يخفى أنّ الكبريت أسرع تأثيراً من كلّ شيء بالنار و إن كان في الغلظة و الكثافة و العفونة بمكان ، و كونها أوّل شجرة أيضاً لا ربط له بالمقام ؛ بل المباركة يقابلها المشؤمة المشتملة على النحوسة ، والمعتبر في«المشبّه به»أن تكون من شجرة سعد لا نحوسة فيها ، بل فيها السعادة و البركة . و هذا المعنى في المشبّه باعتبار أنّ ابراهيم عليه السلام أكثر في ذرّيته البركة ، فجميع الخيرات و السعادات من ذرّيته الطاهرة ؛ فإنّ أكثر الأنبياء عليهم السلام من ذرّيته و البقيّة غالباً أشراف الناس فهم غوث الملهوفين و ملجاء المساكين وأمان الخائفين و هداة الغاوين . و حيث أنّ أكثر الأنبياء عليهم السلام من ذرّيته و النبيّ صلى الله عليه و آله بحسب أصله خلقته و طينته في كمال الاستعداد لإفاضة نور النبوّة عليه ، فيشبه الزيت المستعد للانفعال بالنار ، فابراهيم عليه السلام شجرة ثمرتها الزّيتون المشتمل على الزيت المستعدللا نفعال من النار ، فيضيء دهنه و يرتفع به الظلام ؛ بل النار لا يستضاء بها إلّا بواسطة الزيت و ما في مرتبته من الأجسام ، و هذا وجه آخر للتشبيه . ثمّ قال :

﴿**لا شرقية و لا غربية**﴾أي لا يفيء عليها يظلّ شرق و لا غرب ، فهي ضاحية للشمس لا يظلّها جبل و لا شجر و لا كهف ، فزيتها يكون أصفر ، عن ابن عباس والكلبي و عكرمة و قتادة ؛ فعلى هذا يكون المعنى أنّها ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا غربت ، و لا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت ؛ بل هي شرقية و غربية أخذت بخطها من الأمرين . و قيل : معناه أنّها ليست من شجرة الدنيا ، فتكون شرقيّة أو غربيّة ، عن

---

۱ . مجمع البيان ، ج۲ ، ص۴۱۰ .

الحسن . و قيل : معناه أنّها ليست في مقنوّة لا تصيبها الشمس و لا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظلّ ؛ بل يصيبها الشمس و الظلّ عن السدى . و قيل : ليست من شجرة الشرق و لا من شجرة الغرب ، لأنّ ما اختصّ بإحدى الجهتين كان أقلّ زيتاً و أضعف ضوءً ، لكنّها من شجر الشام ، و هي ما بين المشرق و المغرب ، عن ابن زيد .[1]

و قد عرفت أنّ الغرض من اعتبار خصوصيّة في المثل انتزاع خصوصيّة مطابقة لما في المشبّه ، و من المعلوم أنّ «المشبّه به» إذا كانت شجرة من غير هذا العالم كما هو معنى اللفظ ، فكيف حال المشبه ؟ فإنّه يدلّ على أنّ المشبّه لا يمكن أن يقاس بشيء ممّا في هذا العالم .

و أمّا ما نقلها من الأقوال ، فالكلّ جزاف ، و لا محصّل لها على تقدير صحتها ، ولو كان الغرض اعتبار الجودة فى الذهن ، فلا حاجة إلى هذا التطويل مع أنّ للردائة أسباباً كثيره ، و هذا المقدار يكفى في بيان الجودة ؛ و إنّما هو تطويل بلا طائل ، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً . و من الحماقة ، توهّم أنّ الغرض من هذا التطويل بيان أنّها من الشام .

و من الغرائب إعراضه عمّا في أخبار أهل العصمة عليهم السلام و استقصائه لما عن هؤلاء الجهلة الحمقاء . و قد عرفت أنّ المستفاد منها معنيان في المشبّه :

أحدهما : أنّه لا دعيّة و لا منكرة ؛ **و الآخر** : أنّه لا يهوديّ ولا نصرانيّ . و على الأوّل فالمعنى في «المشبّه به» أنّها ليست بلا ستر و لا في الغطاء ، و على الثاني أنّها لا اختصاص لها بجهة الشرق ولا بجهة الغرب . ثمّ قال [طبرسى] :

﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ من صفاته و فرط ضيائه ، ﴿**ولو لم تمسسه نار**﴾ أي قبل أن تصيبه النار و تشتعل فيه .

و **فيه ما** عرفت من أنّ الصفاء لا يشرف الزيت على الاستغناء عن النار ، مع أنّ معنى هذا الكلام ، أنّ هذا الزيت ليس على ما هو المعهود في زيت الدنيا ، فإنّها كلّما ازداد جودة إزداد قبولاً للفعل ، و أمّا الاستغناء عن الفاعل ، فليس ممّا يتوهّم في الزيت ، و لكنّ المفروض في المثل إنّما هو زيتونة زيتها يكاد أن تستغنى عن النار ؛ و هذا في المشبه عبارة عمّا يستفاد من بعض الأخبار الذي حاصله الترقّي إلى أقصى مراتب الوجود في الامكان بحيث لا يتصوّر فوقه إلّا وجود الواجب . ثمّ قال :

و اختلف في هذا المشبّه و المشبّه به ، وأمّا المشبّه به فقد مرّ الاختلاف فيه على أقوال .[2]

---

١ . نفس المصدر .

٢ . نفس المصدر .

و ذكر ما ظهر فساده ممّا حقّقناه و أنت ترى أنّ هذا الاختلاف في المشبّه و كأنّه غلط من الكاتب. **و بالجملة**، فله في التطبيق و بقيّة الآية كلمات عجيبة، و الأعجب من الكلّ أنّه بعد ما نقل بعض الروايات قال:

تحقيق هذه الجملة يقتضى أنّ الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى و الرضوان، و عترة الهدى و الايمان، شجرةأصلها النبوّة. و فرعها الامامة، أغصانها التنزيل، و أوراقها التأويل و خدمها جبريل و ميكائيل [1]

مع أنّك عرفت أنّ صريحها غالباً أنّهاإبراهيمعليه السلام كما في كلمات جماعة من المفسّرين، [2] و ما تخيّل لها من الأوراق و الأغصان و الخدم كأنّه لإتمام القوا في و رعاية السجع، فإنّه لا إشعار بهذا التفصيل في الآية و لا في الأخبار منه عين و لاأثر. هذا محصلّ ما جعله الوجه ألأوّل. ثمّ قال:

و ثانيها: أنّه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن و المشكوة نفسه و الزجاجة صدره، و المصباح الايمان و القرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة هي الاخلاص للّه وحده لا شريك له، فهي خضراء ناعمة كشجرة التفّ بها الشجر، فلا يصيبها الشمس على أيّ حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت، و كذلک المؤمن قد احترز من أن يصيبه شيء من الفتر، فهو بين أربع خلال إن أعطى شكر، و إن تبلى صبر، و إن حكم عدل و إن قال صدق، فهو في سائر الناس كالرجل الحيّ يمشي بين القبور، ﴿**نور على نور**﴾، كلامه نور و علمه نور و مدخله نور و مخرجه نور و مصيره إلى نور يوم القيامة، عن أبيّ ابن كعب. [3]

و كان النسبة إلى أبيّ بن كعب منشأها ما حكي عنه من القرائة، فهو على نسج هذا المنوال؛ نعم في بعض أخبارنا هذا الوجه لكن لا على هذا التفصيل. و كيف كان فهو فاسد نسجه بعض العامّة، و سلک هذا المسلک من سلک من الأئمةعليهم السلام للتقية، فإنّ كون المثل الأئمة عليهم السلام معلوم من الأخبار؛ بل قد عرفت أنّ المثل لا ينطبق إلّا عليهم، و لا فائدة لهذا المثل على غير هذا التقدير، مع أنّ المؤمن و ايمانه للاربط لها بصدر الآية، و إنّما المرتبط به ما حقّقنا من أنّ النور هو الخليفة المدلول عليه بتخصيص الأرض بالإفراد.

و بالجملة، هذه الآية بقرينة ما قبلها و ما بعدها و الخصوصيات المعتبرة فيها و بملاحظة مجموع

---

١. مجمع البيان، ج٧، ص٢٧٠.
٢. التفسير الكبير، ج٢٣، ص٢٣١.
٣. مجمع البيان، ج٧، ص٢٧٠.

الأخبار و الاثار لا تحتمل إلّا أن يكون المشبّه نبيّنا و خلفائه من الأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين.

قال عزّ من قائل: ﴿**و لقد أنزلنا اليكم آيات مبيّنات و مثلاً من الذين خلو من قبلكم و موعظة للمتقين**﴾(النور(۲۴): ۳۴)فالمعنى إنّا أنزلنا إليكم آيات واضحات ظاهرات و أخباراً من الذين مضوا من قبلكم و قصصاً لهم و شبهاً من حالهم بحالكم، فعلى هذا محصّل قوله تعالى بعد هذا الكلام، ﴿**الله نور السموات و الأرض**﴾، أنّ هذا شروع في المثل للأنوار الموجوده من الآن إلى يوم القيامة، و أمّا ما بعد هذه الآية، فقد عرفت معناه و أنّه لا يرتبط بها إلّا على ما أثبتناه من الأخبار. و لا يخفى أنّ قوله عزّ من قائل فى الآية السابقة: ﴿**أنزلنا إليكم آيات مبيّنات**﴾يدلّ على أنّ الاجمال الذي في آية النور إنّما هو لحكمة دعتنا إليه، فلهذا خصّصناها بالاجمال، و ما أنزلنا من الآيات في الأحكام و الأمثال بالنسبة إلى الذين خلوا من قبل مبيّنات لا أنّ هذه طريقتنا في القرآن، فنبّه عزّ من قائل على أنّ ما سينزله فيمن جعله نوراً في زمان نزول هذه الآيات إذا جعل له مثلاً أو أنزل فيه آية، فليس على ما أنزل في الذين خلوا من قبل و في الأحكام أو المواعظ.

الحمد لله أولاً و آخراً و صلى الله على خاتم النبيّين و سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه و آله و على ابن عمّه و وصيّه و وزيره عليّ أمير المؤمنين و سيّد الوصيين و على صفيّته و كريمته و زوجة ابن عمّه و صهره، فاطمة أم السبطين الكرامين الحسن و الحسين، و أولادها من ولد الحسين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ من الآن إلى قيام يوم الدين، و لعنة الله على مبغضيهم و ظالميهم و غاصبى حقوقهم و منكرى فضائلهم آمين رب العالمين. قد تمّت بخير.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی